أثر بناء الجملة الإنشائية في توجيه المعنى في سورة مريم

الباحث
علي نور إدريس المحنا
جامعة الكوفة / كلية الآداب

الأستاذ المساعد الدكتور
سيروان عبد الزهرة الجنابي
جامعة الكوفة / كلية الفقه

المبحث الاول

مفهوم الجملة الإنشائية وفارقها عن الجملة الخبرية:

معنى (الإنشاء) في اللغة:

الإنشاء هو مصدر للفعل الرباعي (أنشأ) وهو فعل مزيد من الفعل الثلاثي (نشأ) وقد كشف المعجميون عن معنى الإنشاء بقولهم : ((النَّشَأُ : أَحْداث النّاس ... والنّاشىء: الشّابّ ... والنّاشِئَةُ :أوّلُ اللَّيْل . . . وأَنْشأتُ حديثاً : ابتدأت، وأنشأ اللُّه السّحابَ فنشأ ينشأ أي : ارتفع))[1] من هنا نفهم بأنّ الإنشاءَ هم الصغار من الناس ويدل كذلك على معنى النمو والارتقاء واليفوع والظهور إلى الوجود، إذ يُقال للشاب حين يبلغ قامة الرجل فتى ناشئ، ويقال للسحاب أول ما يبدو سحاب ناشئ[2] ، فضلا عن لفظة الإنشاء تدل على الإيجاد والابتداء بعد العدم، إذ يقال: ابتدأت حديثا، أي أوجدته بعد إذ لم يكن موجودا ((وأَنْشَأَ اللّهُ الخَلْقَ أَي ابْتَدَأَ خَلْقَهم))[3] بعد إذ لم يكونوا شيئا مذكورا، ويؤيد هذا ما أدلى به أبو هلال العسكري حينما فرَّق بين الإنشاء والفعل في قوله: ((هو الإحداث حالا بعد حال من غير احتذاء على مثال ، ومنه يقال أنشأ الغلام ناشئ إذا نما و زاد شيئا فشيئا ، والاسم النشوء ، وقال بعضهم الإنشاء ابتداء الإيجاد من غير سبب، والفعل يكون عن سبب ، كذلك الأحداث هو إيجاد الشيء بعد إن لم يكن ، ويكون

بسبب وبغير سبب ، والإنشاء يكون من غير سبب))[٤]؛ بهذا نصل إلى أنَّ دلالة الأصل للفظة الانشاء في المعطى المعجمي لها هي الإيجاد والظهور؛ ولهذا رابط دلالي بمعناها الاصطلاحي ذلك بأنّ الإنشاءَ في الاصطلاح يدعو إلى طلب شيء من المتلقي غير موجود قبل الطلب، وهذا يتفق مع المعنى المعجمي الذي يدل على الوجود والإظهار مطلقاً، وتأسيساً على هذا نقول إن ثمة ارتباطا تأسيسياً بين المعنى اللغوي للفظة المفهوم الاصطلاحي لها ولعل من وضع المفهوم قد نظر إلى المعطى المعجمي لهذه اللفظة وأسس عليه.

مفهوم (الإنشاء) في الاصطلاح :

بعد أن جرت قسمة البلاغيين للكلام على صنفين هما الخبر والإنشاء بيّنوا أنَّ الخبرَ هو ما احتمل الصدق والكذب، أما الإنشاء فهو ما كان ضد مفهوم الخبر أي هو ما لا يحتمل الصدق والكذب، هذا ما قرره العلماء من قبلُ أنَّ الجملة الانشائية هي الجملة التي لا تحتمل الصدق والكذب لذاتها ذلك بـ ((أنّ ألكلام إما خبر أو إنشاء لأنه إما أن يكون لنسبته خارج تطابقه أو لا يكون لها خارج؛ الأول الخبر و الثاني الإنشاء))[٥]؛ وتأسيساً على هذا تُعرَّفُ الجملة الإنشائية بأنها: ((الجملة التي لم تشتمل على خبر ، وإنما انشأ النطق بها حدثا ما؛ كإنشاء طلب الفعل إذا قلت لابنك: اسقني ، أو قلت له: اجتهد أو لا تكسل، وكإنشاء طلب الفهم ؛ إذا قلت للفقيه: هل يجوز أن أفعل كذا؟ أو ما حكم كذا شرعا ونحو ذلك؛ فليس القصد من الجملة الإنشائية الإعلام عن نسبة حكمية تحققت أو لم تتحقق في الواقع))[٦] لأنّ ذلك من توابع الخبر مطلقا، وقد عرف أحدُ الباحثين المعاصرين الجملة الإنشائية بقوله: ((التي لم تكن إعلاما ولا إخبارا ولم يرد فيها تصديق قائلها أو تكذيبه ؛ لأنها لم تتضمن فائدة للمخاطب لأمر قد تم في زمن مضى أو في الحال أوفي زمن

الاستقبال))[٧]؛ وبهذا تكونُ الجملة الخبرية هي الجملة التي اشتملتْ على خبر مجرد (من دون طلب)؛ فمضمونها إخبار عن أمر ما، إيجابا أم سلبا ؛ لأنَّ القصدَ منها الإعلام بأنَّ الحكمَ الذي اشتملت عليه له واقع خارج العبارة الكلامية، والذي يترتبُ على التعريفين المذكورين للجملة الخبرية والجملة الإنشائية جملة أمور تفريقية يمكن إجمالها على النحو الآتي:

١- إنَّ الجملة الإنشائية أكثرُ توكيدا من الخبرية في حال خلوّ الجملتين من أدوات التوكيد؛ لأنها خارجة عن نطاق التصديق والتكذيب، في حين أنَّ الجملة الخبرية تخضع إلى عامل الصدق والكذب؛ لهذا تحتاج إلى مؤكِّد حين يشكِّك السامع في إخبار المتكلم؛ في حين أنَّ الانشاء هو طلب محض لا يخضع لهذا العامل ولهذا فهو مؤكد دائما؛ وبهذا يكون مجردا من التشكيك ومبرئا من التكذيب.

٢- إنَّ أدوات التوكيد مع الجملة الإنشائية أكثر توكيدا منها مع الخبرية؛ لأنها تخلو من احتمال الوجهين -كما سبق- كقولنا: بئس فلان أو ما أحسن فلان، فنلاحظ أنَّها تخلو من التأويل على أكثر من احتمال؛ بخلاف الخبرية التي يترسب إليها التشكيك حتى مع أدوات التوكيد أحيانا؛ إذ يستدعي الأمر في بعض المواقف أن يزيد المتكلم من المؤكدات في حال أنكر المتلقي كلامه مع وجود توكيد واحد أو توكيدين.

٣- تكون الجملة الخبرية في مخاطبتها الفكر والتصور الدلالي لدى المتلقي وإحداث عنصر التأويل لديه أقدرَ من الجملة الإنشائية؛ لأنَّ الأخيرة لا تعدو التعبير عن الشعور بالانفعال من شيء – سواء كان في حال الانشاء الطلبي أم الانشاء غير الطلبي-؛ وهذا يعني أنَّ الجملة الاخبارية أكثر استعمالا في المعاني التي تقتضي التفكير وتقليب العبارة؛ ولهذا ترد الاخبارية في نطاق خطاب

المباحث العلمية والعقلية أكثر مما ترد الجملة الإنشائية؛ إذ كل المباحث العلمية والفلسفية تغلب عليها بشكل مطلق الجملة الخبرية، فالعلوم وقوانين الرياضيات والفلك وغيرها هي جمل خبرية، أما الإنشائية فتأتي في حالات الانفعال كالمدح والذم والتهديد والوعيد والإغراء والأمر والنهي ونظائر ذلك.

وخلاصة القول أنَّ الجملة الخبرية غالبا ما تخاطب العقل لأنَّ طبيعة العقل تغليب الأمور والموازنة والتشكك، أما الإنشائية فتأتي غالبا لمخاطبة العاطفة والانفعال لذلك فهي تكثر في الشعر والخطب التي تقتضي التحريض أو التحضيض وما إلى ذلك من أمور، وقد وردت الجملة الانشائية في النص القرآني في غير موضع منه لحاجة النص إلى التعبير عن الأحكام الشرعية التي تقتضي الأمر والنهي ولحاجة النص أيضا إلى إثبات عقيدة السماء الحقة التي تستدعي استعمال الأساليب الإنشائية في المحاججة كالاستفهام والدعوة إلى الاعتبار والنظر إلى أحوال الأمم السابقة؛ من هنا نجد أنَّ الأساليبَ الإنشائية تشكل نسبة كبيرة في النص القرآني وذلك بناء على مطلب الحاجة إليها، وتأسيسا على هذا الملحظ وقفنا على مجموعة من الجمل الإنشائية في سورة مريم (عليها السلام)؛ ولهذه الجمل تشكلات بنائية مختلفة تسهم بصورة فاعلة في تغير المعنى؛ إذ إنّ تغير المباني يؤدي إلى تغير المعاني لا على سبيل الصيغ الصرفية فحسب؛ بل حتى على صعيد تغير بُنى الجمل أيضا سواء أكانت الاخبارية منها أم الانشائية؛ من هنا سيعتني هذا الجهد العلمي بدراسة أثر بناء الجملة الانشائية في توجيه المعنى في وسورة مريم؛ علّنا نقف على ملاحظ دلالية مهمة أو نرى أمرا قد غاب عن فكر المفسرين.

ولابدَّ من أن نذكرَ أنَّ البلاغيين قد قسّموا الجملَ الإنشائية إلى طلبية وغير طلبية؛ إذ يقول القزويني: ((والإنشاء ضربان طلب وغير طلب: والطلب يستدعي مطلوبا غير حاصل وقت الطلب لامتناع تحصيل الحاصل)) [٨]، واستنادا إلى هذا التقسيم سيجري تقسيم هذا البحث على المنوال نفسه الذي أوجده البلاغيون.

المبحث الثاني:

أثر بناء جملة الإنشاء الطلبي في توجيه المعنى في سورة مريم:

المطلب الأول :أثر بناء جملة الأمر في توجيه المعنى:

عرّف النحاة فعلَ الأمر بأنه ما دل على الطلب بذاته وله علامتان الأولى دلالته على الطلب مع قبول ياء المخاطبة والثانية قبوله نوني التوكيد الثقيلة والخفيفة، والأمر مستقبل أبدا لأنه مطلوب به حصول ما لم يحصل[٩]، والأمر((إنْ كان من الأعلى إلى من دونه قيل له أمرٌ، وإنْ كان من النظير إلى النظير قيل له طلبٌ، وإنْ كان من الأدنى إلى الأعلى قيل له دعاءٌ))[١٠].

الفرع الأول : جملة الأمر بـ(افعل):

إنَّ الأصلَ فيه صيغة (افعل) هي مبنية على السكون وهذا ما ذَهَبَ إليه البصريون[١١] ،

في حين رأى الكوفيون أنَّ فعلَ الأمر((هو الذي على طريقة المضارع للفاعل المخاطَب، لا يخالف بصيغته صيغته إلا أن تنزع الزائدة: فتقول في تَضعُ، ضَعْ ... مما أوَّله مُتحرك، فإنْ سكن زدت، لئلا تبتدئ بالساكن، همزة وصل فتقول في تضربُ اضربْ))[١٢] ، وسواء كانت صيغة (افعل) هي أصل في الأمر أم أنها منتزعة من المضارع فإنَّ هذا لا يغض من أداء وظيفتها في الخطاب ألا هي الدلالة على الطلب على صيغة مخصوصة.

وقد وردت صيغة (افعل)، للدلالة على الأمر في سورة مريم؛ وذلك في قوله تعالى: ((يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا)) [١٣] فعند النظر نجد أنَّ الفعلَ (خذ) صادرٌ من الله تعالى إلى نبيّه يحيى (عليه السلام) فقد تقدم مجيء النداء ليحيى قبل أن يأمره سبحانه بشيء أي سيق النداء قبل التكليف فقال سبحانه ابتداء (يا يحيى) وهذا يدل على مكانة يحيى عند الله تعالى إلى الحد الذي يخاطبه باسمه من باب شدة قربه من الله تعالى هذا من جهة ومن جهة فإنَّ النداءَ هنا يدل على أهمية الشيء المراد الحديث عنه وهو التكليفُ السماوي الذي يتحمله يحيى لذا أرادَ اللهُ تعالى أن يسترعي انتباهَه لهذا الأمر فناداه ثم أمره؛ من هنا نجد أنَّ المشهدَ الندائي في الآية مشهدٌ رائعٌ وعظيمٌ يدل على مكانة يحيى بلا ريب، وعلى استجابة الله لزكريا (عليه السلام) في أن يجعلَ من ذريته وليا ، وعلى ضرورة التنبه لما سيقالُ وهو فعل الأمر (خذ الكتاب) الذي هو مظنة التكليف السماوي.

وقد ذهب المفسرون إلى أنَّ قولَه تعالى (يا يحيى) هو استئناف طوي قبله جملاً كثيرة بقرينة أنَّ هذا الخطابَ ليحيى مباشرة[١٤] ، فلا محالة أنه صادر من قائل، ولا يناسبُ إلا ان يكونَ قولاً من الله تعالى ،فاكتفى سبحانه بهذا النداءِ عن القول: ان يحيى (عليه السلام) قد ولد، وانه أصبح يعقل ويفهم ما يقال له، وهو انتقال من البشارة به إلى نبوته، المتمثلة بفعل الأمر (خذ الكتاب) فهو أمرٌ صادرٌ من الأعلى إلى الأدنى وهو واجبُ التنفيذ بلا نقاش، ويحتمل أن يكونَ الكتابُ المذكورُ هو التوراة وهو كتابُ بني إسرائيل من بعد موسى (عليه السلام) لقوله تعالى: ((وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ)) [١٥] وعليه كان أنبياؤهم يعملون به، ويحكمون فهو يشملُ كلَّ شيء في العقيدة والتشريع والمنهج،

لتؤكدَها في حياة الناس، وقيل المقصودُ بالكتاب في هذه الآية هو اسم جنس يشملُ الكتبَ المتقدمة وقيل هو صحفُ إبراهيم [١٦]، ((ويحتمل أن يكون كتاباً خص الله به يحيى كما خص الله تعالى الكثير من الأنبياء بذلك والأول أولى لأنَّ حملَ الكلام هاهنا على المعهود السابق أولى ولا معهود هاهنا إلا التوراة))[١٧].

أما المرادُ بلفظة بـ(قوة) فالقوة المطلوبة هنا ليس الشدة؛ بل هي الجدُّ والاجتهادُ؛ إذ ((ليس المراد منه القدرة على الأخذ ؛ لأنَّ ذلك معلوم لكل أحد فيجب حمله على معنى يفيد المدح وهو الجد والصبر على القيام بأمر النبوة ، و حاصلها يرجع إلى حصول ملكة تقتضي سهولة الإقدام على المأمور به والإحجام عن المنهي عنه))[١٨] وذلك بتفهم المعنى من الكتاب ثم العمل به من جميع الجهات، فيعتقدُ عقائده، ويحلُّ حلاله ويحرمُّ حرامَه ويتأدبَ بآدابه، ويتعظُ بمواعظه إلى غير ذلك من جهات العمل به؛ لأنَّ يحيى (عليه السلام) قد ورثَ أباه زكريا(عليه السلام)، ونودي ليحملَ العبءَ ويتهيأ للأمانة في قوةٍ وعزم لا يضعفُ ولا يتراجعُ عن تكاليف الوراثة، فالأخذُ مستعارٌ للتفهم والتدبر كما يُقالُ: أخذت العلم عن فلانٍ؛ لأنّ المعني بالشيء يشبهُ الآخذ[١٩].

والذي يمكنُ التوصلُ إليه من خلال ما ذُكرَ بعد الاطلاع على آراء المفسرين تبين أنَّ الدلالة الزمنية لفعل الأمر (خذ) هي الدلالة المستقبلية؛ لأنَّ هذه الدعوة (الأمر بالأخذ) لا تتحقق بلحظة إنزال الكتاب؛ بل بالعمل والجد والمثابرة والمصابرة وحسن دعوة الناس إلى ما تريده السماء، وهذا لا يشمل يحيى (عليه السلام) فقط؛ بل يشمل كلَّ الذين يحملون رسالة الله بقوة وحسم بامتلاكهم العمق وصلابة الموقف وصلابة الإرادة ، فتلك هي مسؤوليتهم التي يريد الله لهم أن يحملوها[٢٠].

من هنا تكون دلالة الفعل (خذ) كما ذهبَ إليها المفسرون هي الحملُ على معنى يفيد المدح وهو الجدُّ والصبرُ على القيام بأمر النبوة وحفظا وفهما معنى وعملا بأحكامه[٢١]؛ فهذا هو المضمون الذي أُمِرَ به يحيى (عليه السلام)؛ وقد وافق هذا المعنى أحد الباحثين المعاصرين إذ يرى أنّ دلالة الأخذ في الآية الكريمة هي العمل بالتشريع[٢٢]؛ أما قوله (بقوة) فهي حال من فاعل (خذ) والباء للملابسة أي حال كونك متلبسا بقوة واجتهاد [٢٣].

ومن جنس بناء الجملة الامرية في سورة مريم أيضا قوله تعالى على لسان زكريا (عليه السلام) ((قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيّاً ❖ فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيّاً)) [٢٤] حيث نجد أنَّ ثمة صيغتي أمر قد وردتا في هاتين الآيتين الكريمتين احدهما على صيغة (افعل) وهو (اجعل) والاخر على صيغة (فعّل) وهو (سبحوا) وكلاهما قد سيق على لسان النبي زكريا (عليه السلام) غير أنّ الفعل الأول (اجعل) لم ينصرف إلى دلالة الأمر؛ بل دلَّ على الطلب الدعائي فهو دعاء صادر من الأدنى زكريا (عليه السلام) إلى الأعلى الله تعالى لأنه قد طلبَ من الله تعالى متضرعا أن يخلفه بابن ليرثَ النبوة منه فكان يحيى (عليه السلام).

في حين نجد أنَّ الفعلَ الثاني وهو فعل امر واجب الاداء وهو المتمثل بجملة الأمر ((أَن سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيّاً)) ذلك بأنَ الفعلَ (سبحوا) هو واجب الأداء هنا لأنه صادرٌ من زكريا (عليه السلام)إلى قومه وهو سيد قومه؛ لذا وجب التسبيح وهذا الفعل هو تفصيل لقوله تعالى (فأوحى) لأنَّ حدثَ الإيحاء في هذا الموضع مبهم مجمل الدلالة لذا فسره بفعل الأمر (سبحوا) وقد فُهِمَ ذلك بأنه تفصيل من (أن) المخففة؛ لأنها هنا كما يقول المفسَّرون قد

جاءت للتفسير والبيان[٢٥]؛ لأنَّ الفعلَ (أوحى) يعني أشار إليهم ولكن هذه الإشارة مبهمة؛لأنه ((خرج إليهم وهو لا يتكلم فأوحى إليهم، والمراد بالوحي هاهنا لا يحمل على الكلام؛ بل المراد الرمز والإشارة؛ لأنّ الكلام كان عليه ممتنعاً))[٢٦] بدلالة قوله تعالى على لسان النبي زكريا (عليه السلام) بعد أن طلب أن يُولَد له ولد فبشَّره به ((قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلاثَ لَيَالٍ سَوِيّاً)) [٢٧] من هنا فسَّر تعالى ذلك الإيحاء بـ ((أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيّاً)) والتسبيح –ههنا- يعني الصلاة لله شكراً على ما أنعم به على النبي زكريا (عليه السلام) نفسه[٢٨]، ((وان عبارة التفصيل هذه توحي بشدة فرح النبي زكريا (عليه السلام) بما تفضَّل الله به عليه؛ إذ أمرهم بشكر الله تعالى ، وحمده على ما أعطاه وهو (الذرية)، وتشير عبارة التفصيل من طرف آخر إلى حاجة النبي زكريا (عليه السلام) لمن يخلفه ويحلَّ محله لأداء مهمة السماء من جهة، ولإعانته على قساوة الحياة ، ومتطلباتها من جهة أخرى، فالحاجة إلى الذرية أمر ضروري لكل إنسان خصوصاً إذا بلغ من الحياة مبلغاً طويلاً؛ من هنا أجمل سبحانه ثم فصَّل ؛ ليدلَّ على مدى أهمية المطلوب لدى النبي زكريا (عليه السلام) وقوة رغبته فيه إلى الحد الذي أمر فيه قومه بالتسبيح شكراً لله تعالى على طول اليوم مساراً))[٢٩].

ومن بناء الجملة على دلالة الأمر قوله تعالى: ((فَنَادَاهَا مِن تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيّاً ❖ وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَباً جَنِيّاً ❖ كُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْناً فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَداً فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْماً فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيّاً)) [٣٠] إذ نلحظُ وجودَ أكثرِ من جملة قد صيغتْ للدلالة على الأمر وهي قوله تعالى :((وهزي إليك) قوله ((كلي واشربي وقري عينا) وقوله سبحانه ((فقولي))؛ فهذه كلُّها أوامرُ من

اللهِ تعالى إلى مريم (عليها السلام) فقوله ((هزي إليك)) هو أمر واجب التنفيذ من أجل ديمومة القوة لها من أجل إعانتها على الولادة، إذ نقل بان ((التمر للنفساء عادة من ذلك الوقت ... وقيل ما للنفساء خير من الرطب ولا للمريض خير من العسل وقيل إذا عسر ولادتها لم يكن لها خير من الرطب))[٣١]، أما قوله ((كلي واشربي)) فهما أمر واجب الأداء أيضا حتى تتقوى مريم (عليها السلام)على وضع ولدها وهذه معجزة من الله تعالى؛ إذ أعاد الحياة إلى النخلة الميتة[٣٢]، وأعاد المياه إلى النهر الجاف كي تأكل مريم (عليها السلام) وتشرب لتتحمل ألم الإنجاب، وعند التأمل نجد أنّ النص القرآني قد عوَّلَ على ذهنية المتلقي في حذفه متعلقَ أمر الأكل والشرب؛ إذ ((لم يصرح جل وعلا في هذه الآية الكريمة ببيان الشيء الذي أمرها أن تأكل منه والشيء الذي أمرها أن تشرب منه ولكنه أشار إلى أنّ الذي أمرها أن تأكل منه هو الرطب الجني المذكور والذي أمرها أن تشرب منه هو النهر المذكور المعبر عنه بالسري كما تقدم))[٣٣] لذا اختزل سبحانه ولم يصرح اعتمادا على أنَّ المتلقي قد فهم المراد ابتداءً؛ لأنّ أسلوب القصة يشد القارئ إليها بشدة وقوة.

أما قوله تعالى ((وقري عينا)) فهو ليس أمرا على سبيل الإلزام؛ إذ نحسب أنَّ المرادَ من هذه الجملة الامرية في بنائها هو معنى السببية أي كي تقري عينا بسبب الأكل والشرب؛ لأنك سوف تنجبين ولدا يكون معجزة للناس ويكون فخرا لك، ومرقاة إلى السعادة الأخروية، يقول الشنقيطي: ((إن عينها إنما تقر في ذلك الوقت بالأمور الخارقة للعادة لأنها هي التي تبين براءتها مما اتهموها به فوجود هذه الخوارق من تفجير النهر , وإنبات الرطب ، وكلام

المولود تطمئن إليه نفسها وتزول به عنها الريبة وبذلك يكون قرة عين لها)) (٣٤).

وقد صيغ إقرار العين - الذي سيقع بفعل تلك الخوارق- على الأمر؛ للدلالة على أنّ هذا الإقرار لابدَّ من أن يقعَ فكأنها مأمورة به ، وهي تؤدية على سبيل الإلزام ؛ لأنه حتمي الوقوع وستدرك ذلك بالمستقبل حينما ترى عيسى ، وتتعلق به ، وتعلم ما به من خير لأمتها ولها على حدٍّ سواء.

أما قوله تعالى ((فقولي)) فهو أمرٌ واجبُ الأداء ؛ لأنه وسيلة لإنقاذها من كلام الناس واتهامهم لأنها حينما لا تتكلم ، وتنذر صوما عن النطق إلى الله تعالى سيدعو ذلك إلى تساؤل الناس ، وبهذا ستشير إلى المولود فيتكلم فيغدو معجزة واجبة التصديق فيؤمنوا والحال هذه بأنّ مريم (عليها السلام) بريئة وان هذا المولود إنما هو معجزة السماء إليهم من أجل إنقاذهم من غيهم؛ من هنا نفهم أنَّ كثرة ورود هذه الجمل الامرية في هذا الموضع إنما جاءت من أجل إنقاذ مريم (عليها السلام) من محنتها ولبيان أمر الله تعالى ومعجزته لتحقيق الإيمان في نفوس قومها لذا دعتْ الحاجة الضرورية أمر مريم (عليها السلام) لتنفيذ المطلوب من أجل إنجاح المهمة على أكمل وجه.

ومن قوله تعالى على لسان عيسى متحدثا مع قومه: ((وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ)) (٣٥) إذ نجد أنّ قوله (فاعبدوه) فعل أمر واجب الأداء وقد علل عيسى هذا الأمر بقوله ((وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ)) للدلالة على أنه أي :عيسى ليس ابنا لله وليس إلها أيضا كما رأى عباد قومه؛ بل هو عبد من عبيد الله ولهذا قدم قوله ((وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي)) بنسبة العبودية إليه قبل قومه حيث قال بعد ذلك ((وربكم))؛ لذا قدم للتنبيه ولإثبات أنه عبد من عباد الله وهذا الكلام الذي وجهه لقومه إنما جاء ضمن سياق حديثه الأول

مع قومه فبمجرد أنه نطق متحدثا إلى قومه قال هذه العبارة ضمن كلامه لإثبات أنّ الله هو الإله، والدليل أنّ أول عبارة نطق بها أولا هي قوله: ((قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيّاً)) [٣٦]؛ لذا وجب والحال هذه أن يأمرهم بالعبودية إلى الله تعالى لأنه رب الجميع عيسى وأمه وقومه؛ لهذا استعمل الفاء في قوله ((فَاعْبُدُوهُ))؛ لأنها سببية أي لأنَّ اللهَ ربي وربكم وجب عليكم عبادة الله وحده لا شريكَ له البتة.

المطلب الثاني : أثر بناء جملة النهي في توجيه المعنى في سورة مريم:

يُعرَّف النهي بانه طلبُ الكفِّ عن الفعل على وجه الاستعلاء [٣٧] ، و عرَّفَه الجرجاني بقوله: ((صيغة إنشائية طلبيه دالة على المنع من الفعل على وجه الاستعلاء ؛ لأنَّ الأصلَ هو ترك الفعل وعدم التلبس به))[٣٨] ويجري مجرى الأمر في مسألة مقام الصدور والتلقي فإذا كان من أعلى إلى أدنى فهو نهي وإذا كان بين متساويين فهو طلب وإذا كان من أدنى إلى أعلى فهو دعاء لمنع شيء ما.

ومن جنس بناء الجملة على دلالة النهي بـ (لا) الناهية قوله تعالى في سورة مريم على لسان النبي إبراهيم (عليه السلام) وهو يخاطب أباه: ((يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا)) [٣٩]؛ فقد ورد قوله تعالى مصدرا بإعادة أسلوب النداء مرة أخرى بعد أن ذكره في آية سابقة؛ إذ قال: ((يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطاً سَوِيّاً)) [٤٠]، ويبدو أنَّ إعادة النداء في الآية التي نحن في صدد الحديث عنها جاء زيادة للتأكيد[٤١]، وبيان درجة قرب إبراهيم من أبيه إذ استعمل النداء هنا للاستمالة والتحنن كي يقنع أباه بما يريد ليوجهه إلى طريق الحق.

وقد أراد إبراهيمُ بعبادة الشيطان عبادةَ الأصنام إذ عبَّر عنها بعبادة الشيطان إفصاحا عن فسادها وضلالها، فإنَّ عبادةَ الأصنامِ هي طاعةُ الشيطان؛ لأنه الداعي إلى عبادتها والموسوس بها، أما جملة النهي فهي قول إبراهيم لأبيه ((لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ)) وإذا ما تأملنا في دلالة النهي الواردة في هذه الآية الكريمة فإننا سنجد دلالة حقيقية ؛ إذ ابتغى إبراهيم من أبيه ترك عبادة الأوثان على سبيل الحقيقة الصريحة؛ فضلا عن أنّ فارق المقامات يثبت من طرف آخر بان هذا النهي حقيقي؛ ذلك بان النهي هنا قد صدر من الأعلى إلى الأدنى لأنَّ المتكلمَ كان نبيا وهو إبراهيم (عليه السلام) أما المتلقي فهو من الكافرين، ومما لاشكَّ فيه أنّ رتبةَ الأنبياء هي أعلى من رتب سائر الناس حتى وإن لم يكونوا كافرين؛ فالأنبياء هم الذين اختارهم الله واصطفاهم وليس من فعل الأنبياء التكلم وتبليغ الناس من دون أن يكونوا قد صدرت لهم أوامر التبليغ من الله فكلام الأنبياء هو كلام الله سبحانه وتعالى والله أعلم حيث يجعل رسالته.

من ها ندرك أنّ هذا النهي إنما وردَ على وجه الحقيقة؛ إذ نهى إبراهيم أباه من عبادة الشيطان؛ لأنَّ الأصنامَ التي يعبدُها لا تستحقُ العبادة وبهذا فإنَّ أباه كان على ضلالة فأرادَ أن ينقذَه منها بهذا النهي؛ فضلا عن أنّ مهمة الأنبياء تقتضي عليهم ابتداء دعوة الناس إلى عبادة الله وحده لا شريك له ومن ثم يوجِّهون قومهم إلى حسن الأخلاق والتمسك بما أراد الله تعالى من حق ونبذ الباطل؛ أي إن العقيدة أولا ثم إتباع الأحكام ، وتنظيم الأخلاق ثانيا، ولما كان أبو إبراهيم أقربَ الناس إليه كان من الواجب نهيه أولا وقبل غيره.

أما قوله تعالى : ((إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا)) فهو تعليل للنهي عن عبادة الأوثان ذلك بان الشيطان أكثر المخلوقات عصيانا للرب ومن ثمة فهو أكثر الخلق وسوسة للإنسان كي يسقطه في عالم الخطايا، وفساد العقيدة ولهذا ذكر إبراهيم وصف (عصيا) للشيطان وهي من صيغ المبالغة مع زيادة (كان) التي تفيد هنا مطلق الكون؛ للدلالة على أنَّ الشيطانَ عصي لله في كل الأزمنة؛ وبهذا فهو يدعو الناس إلى فساد العقيدة في كل الأزمنة؛ من هنا كان خطره عظيما على الناس عموما، فالشيطان لا يفارق عصيان ربه، ولا جرم أنه لا يأمر إلا بما ينافي الرحمة من الله، أي بما يفضي إلى النقمة ، ولذلك اختير وصف (الرحمن) من بين صفات الله تعالى تنبيها على أنَّ عبادةَ الأصنام توجب غضبَ الله فتفضي إلى الحرمان من رحمته؛ ومن كان هذا حاله فهو جدير بأن لا يتبع[٤٢] .

والظاهر أنَّ اللهَ تعالى قد اختار اسم الشيطان في مقام الإضمار في قوله :((إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا))، فيقل :انه كان للرحمن عصيا، لإيضاح إسناد الخبر إلى المسند إليه، لزيادة التنفير من الشيطان؛ لأن في ذكر صريح اسمه تنبيها على النفرة منه ولتكون الجملة موعظة قائمة بنفسها كما يرى ذلك ابن عاشور[٤٣].

ومما يبدو لي أنَّ كلامَ سيدنا إبراهيم على الرغم من أنه كان موجها إلى أبيه آزر ألا إننا نجدُ أنّ هذا الكلامَ لا يقتصرُ على آزر فحسب؛ بل يمكنُ أن يكون موجها إلى جميع بني البشر فعبادة الأصنام هي من أعظم الكبائر وهذا ما تنهى عنه جميعُ الأديان والشرائع السماوية، فالنهي هنا مطلقٌ في كلِّ الأزمان وعامٌ لكلِّ الأقوام فهو لا يختصُ بزمن محدد ولا بشخص دون آخر على الرغم من أنّ الكلامَ كان موجها إلى آزر؛ ذلك بأنّ النهي عن عبادة غير

الله هو أمر السماء الأول بلا شك أو تردد في ذلك؛ لأنّ الله تعالى هو خالق الجميع بهذا يحق له أصالةً أن تكون عبادة الجميع له بلا شريك البتة وحاشا من الشراكة سبحانه.

المطلب الثالث : أثر بناء جملة الاستفهام في توجيه المعنى في سورة مريم:

يعد الاستفهام نوعا من أنواع الإنشاء الطلبي، والأصل فيه طلب الإفهام والإعلام لتحصيل فائدة علمية لدى المستفهم(٤٤) ، وأشار النحاة إلى أنَّ الاستفهامَ والاستخبارَ والاستعلامَ بمعنى واحد؛ فالاستفهام مصدر استفهمت أي : طلبت الفهم ، وكذلك الاستعلام والاستخبار(٤٥)، والاستفهام: هو صيغة من صيغ التعبير اللغوي يستعملها العربي حين يريدُ أن يفهمَ ما تعسَّرَ عليه فهمه لأمر حدث أو لخاطر خطر بباله، أو لشاخص يقف أمامه، فعند ذلك لابدَّ له من السؤال، والسؤال لابدَّ له من صيغة تتكلفه، وهذا ما يُطلَقُ عليه (الاستفهام)(٤٦).

وأشار علماء البلاغة إلى أنَّ الألفاظَ الموضوعةَ للاستفهام تقع في ثلاثة أقسام هي(٤٧) **القسم الأول**: ما يستفهم به عن التصور والتصديق وهو (همزة الاستفهام) فقط وهو حرف لا يكون له محل من الإعراب، والهمزة تجيء لطلب التصور والتصديق لعراقتها في الاستفهام .

القسم الثاني: ما يستفهم به عن التصديق فقط وهو لفظ (هل) وهو حرف أيضا لا يكون له محل من الإعراب في الجملة، والأصل في (هل) أن تدخل على جملة فعلية أي لابدَّ من أن يسبقَها فعلٌ لفظا أو تقديرا، ولا تدخلُ على النفي والمضارع الذي للحال والشرط، وحرف (إنَّ) الذي ينصب الاسم ويرفع الخبر، وحرف العطف، بخلاف الهمزة في كل ذلك؛ ولأجل اختصاصها بطلب التصديق لا يذكر معها المعادل بعد أم المتصلة؛ فلذا امتنع هل سعيد قام

أم محمد ؟ لأنّ وقوعَ المفردِ وهو محمد بعد (أم) الواقعة في خبر الاستفهام دليل علىّ (أم) متصلة، وهي لطلب تعيين أحد الأمرين، ولابدَّ حينئذ من أن يعلم بها أولاً أصل الحكم (وهل) لا يناسبها ذلك ، لأنها لطلب الحكم فقط فالحكم فيها غير معلوم ، وإلا لم يستفهم عنه بها ، وحينئذ يؤدي الجمع بين (هل و أم) إلى التناقض لأن (هل) تفيد أنَّ السائلَ جاهلٌ بالحكم لأنها لطلبه (وأم) المتصلة تفيد أنّ السائل عالم به ، وإنما يطلب لتعيين أحد الأمرين.

القسم الثالث : ما يستفهم به عن التصور فقط، وهي سائر أدوات الاستفهام، وهذه جميعها أسماء وهي (ما ـ من ـ أي ـ كم ـ كيف ـ أين ـ أنّى ـ متى ـ إيّان).

والتصور هو إدراك المفرد ، ويطلب بالاستفهام عن التصور إدراك المسند إليه، أو إدراك المسند لتعيينه، ويكون الجواب بتعيين المسئول عنه، مسندا كان أو مسندا إليه مثل: أضرب خالد أم أكل ؟ والجواب : ضرب أو أكل ، أما التصديق فهو إدراك النسبة الحكمية بين المسند والمسند إليه، موجبة كانت أو سالبة ولا يمكن أن يكون إلا بالهمزة والذي يسأل عنه بالهمزة هو ما يليها كالفعل في:أضربت زيدا ؟ إذا كان الشاك فيه والفاعل في : أ أنت ضربت ؟ والمفعول في: أزيدا ضربت؟ (٤٨) .

الفرع الأول : **جملة الاستفهام بـ(الهمزة)**:

لقد بُنيَتْ الجملة الانشائية على دلالة الاستفهام في سورة مريم وذلك في قوله تعالى: ((أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ❖ أَاطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمِ اتَّخَذَ عِندَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا❖ كَلَّا سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا)) (٤٩)؛ فقد وردتْ جملة (أَفَرَأَيْتَ) مسبوقة بهمزة الاستفهام ، وجاء الاستفهام ههنا للدلالة على التعجب من كفر المعاند (العاص بن وائل) فهو

الأنموذج للإنسان الذي أخذ بمنطق الكفر واستسلم له مع (خَبَّاب بن الأرت) ، إذ ورد أنَّ خَبَّابا كان يصنع السيوف ، فجاء يتقاضى دينه من العاصي بن وائل فقال العاصي : لا أقضيكه حتى تكفر بمحمد فقال خَبَّاب وقد غضب : لا أكفر بمحمد حتى يميتك الله ثم يبعثك ، قال العاصي: و مبعوث أنا بعد الموت؟ قال نعم قال العاصي متهكما:إذا كان ذلك فسيكون لي مال وولد وعند ذلك أقضيك دينك لأنكم تزعمون أنّ في الجنة ذهبا وفضة استهزاء واستخفافا فنزلت هذه الآية في ذلك فالعاصي بن وائل هو المراد بالذي كفر بآياتنا(٥٠) .

من هنا سيق الاستفهام للإيذان بأنَّ القصةَ من الغرابة والشناعة بحيث يقضي منه التعجب، والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام، أي أنظرت فرأيت الذي كفر بآياتنا الباهرة التي من حقها أن يؤمن بها كل من شاهدها (٥١)، وما يدلُّ على التعجب هو الاستفهام الثاني الذي ورد في الآية اللاحقة على هذه الآية وهو قوله تعالى :((أَاطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمِ اتَّخَذَ عِندَ الرَّحْمَنِ عَهْداً)) ففي قوله ((أَاطَّلَعَ الْغَيْبَ)) دلالة واضحة على التهكم والاستهجان ؛ لأنّ هذا الأمر لا يكون البتة، ويبدو أنَّ المقصودَ من الاستفهام في قوله ((أَفَرَأَيْتَ)) فضلا عن دلالة التعجب هو لفت الذهن إلى معرفة هذه القصة واخذ العبرة منها (٥٢) ؛ ذلك بأنَّ الخطابَ وإن كان موجها إلى الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) غير أنه منفتح على الجميع؛ فهو خطابٌ خاص يراد به العام فهو يصلح لكل من يصلح له فلم يرد به معينا(٥٣) ، بل حتى المصداق الذي ساقه سبحانه لا يتوقف عند حدود الشخصيات التي ذكرت في القصة؛ بل هو ينطبق على كل من يكفر ويقول هذه المقولة ذلك بأنَّ خصوص السبب لا يخصص عموم الحكم مطلقا.

بهذا يتضح لنا أنَّ الاستفهامَ في هذه الآية الكريمة قد خرج من معناه الحقيقي وهو طلب الفهم إلى معنى آخر وهو دلالة التعجب مما وقع ومما قيل؛ فقد أفاد الاستفهام الاستغراب من أمر العاص بن وائل بوصفه إنموذجا من النماذج التي تتهكم وتستخف بالقرآن والبعث ؛ وإلى مثل هذا الخروج قد أشار البلاغيون في مدوناتهم؛ إذ يرون أنَّ الاستفهامَ قد يخرجُ من معناه الحقيقي إلى معانٍ أُخَر بقولهم: ((وكثير ما يُعدَّى الاستفهام عن مورد الحقيقة إلى ما يناسب المقام من إفادة معنى من المعاني تفهم من سياق الكلام ودلالاته))(٥٤) .

الفرع الثاني : جملة الاستفهام بـ(هل):

ومن الجمل الانشائية التي وردت في سورة مريم مبنية على الاستفهام بـ (هل) قوله تعالى: ((رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا)) (٥٥)

فقد وردَ الخطابُ الإلهي في فعلي الأمر ((فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ)) وهما أمران واجبا التنفيذ لأنهما صادران من الله تعالى ثم أعقبهما سبحانه بالاستفهام في قوله :((هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا)) والخطاب هنا للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وتفريع الأمر بعبادته على ذلك ظاهر المناسبة ويحصل منه التخلص إلى التنويه بالتوحيد وتفظيع الإشراك، والاصطبار يدل فيه هذا البناء على شدة الصبر على الأمر الشاق لأنَّ صيغةَ الافتعال تردُ لإفادة قوة الفعل ذلك بأنَّ للعبادة مراتبَ كثيرةً من مجاهدة النفس،وقد يغلبُ بعضُها بعض النفوس فتستطيعُ الصبرَ على بعضها دون بعض (٥٦) ، وقد وردتْ الجملةُ الاستفهامية ((هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا)) واقعةً موقع التعليل للأمر بعبادته والاصطبار عليها؛ و للمفسرين في تفسير قوله تعالى (سَمِيًّا) رأيان(٥٧) :

الأول : السمي المماثل في الاسم كقوله في ذكر يحيى (عليه السلام) ((لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا)) (٥٨) والمعنى: لا نعلم له مماثلا في اسمه الله ، فإنَّ المشركين لم يسموا شيئا من أصنامهم الله باللام وإنما يقولون للواحد منها إله ، وكانوا يسمون أصنامهم اللات و العزى وهبل، فانتفاء تسمية غيره من الموجودات المعظمة باسمه كناية عن اعتراف الناس بأن لا مماثلَ له في صفة الخالقية ؛ لأنَّ المشركين لم يجترئوا على أن يدعو لآلهتهم الخالقية، قال تعالى: ((وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ)) (٥٩)

والآخر: انه يعني هل تعلم له شبيها مثلا، لأنّ الله ليس كمثله شيء فهو الذي وسعت رحمته كل شيء وهو القادر والرازق، فالله ليس له مثل و لا نظير حتى يشاركه في العبادة، فيلزم من ذلك أن تكون غير خالصة له سبحانه ، فلما انتفى المشارِك استحق الله سبحانه أن ينفرد بالعبادة وتخلص له، هذا مبني على أنَّ المرادَ بالسمي :هو الشريك في المسمى.

وعند التأمل في توجيه دلالتي (سميا) نستظهرُ أنَّ دلالةَ الاستفهام قد خرجت عن معناها الحقيقي وهو طلب الفهم إلى الدلالة على الإنكار، بمعنى لا مسامي لله تعالى؛ أي ليس من يساميه ، أي يظاهره ، موجودا (٦٠)؛ بهذا نصل إلى أنَّ الاستفهامَ هاهنا قد وثق ضرورة عبادة الله وحده لا شريكَ له ووجوب الاصطبار لعبادته لأنه ليس له ما يماثله وجودا وسمات وقدرةً لهذا استحق العبادة وحدة فحسب.

أضفْ إلى ذلك أنَّ الدلالةَ الزمنية لحرف الاستفهام (هل) هي الدلالة المستقبلية؛ لأنّ هل تخصص الفعل المضارع للاستقبال بحكم الوضع كالسين وسوف فلا يقال هل تصدق؟ لمن قال: أحبك الآن؛ بل تقول له أتصدق؟ ولأجل اختصاصها بالتصديق، وتخليصها الاستقبال قوي اتصالها بالفعل لفظا

أو تقديرا [٦١] ؛ وهذا يعني أنه ليس له نظير في المستقبل؛ غير أننا نحسب أنَّ دلالة (هل) في هذا الموضع قد خرجت من الدلالة على زمن المستقبل لتدل على مطلق الزمن فهي غير مقيدة بزمن معين ؛ لأنَّ اللهَ ليس له سميٌّ في كل الأزمان والأوقات قاطبة.

الفرع الثالث: جملة الاستفهام بـ(كم)

ومن جنس بناء الجملة على الاستفهام بـ (هل) في سورة مريم أيضا قوله تعالى: ((وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا)) [٦٢] حيث وردَ قوله تعالى هذا في سياق التهدئة لخاطر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وتسلية المؤمنين مع ملاحظة أنَّ هذه السورةَ نزلت في مكة، وكان المسلمون يومذاك تحت ضغط شديد جدا؛ من هنا نجد أنّ نبرة التهديد والتحذير لكل الأعداء اللجوجين المعاندين واضحة في خطاب هذه الآية الكريمة ذلك بتذكيرهم بالأمم التي استأصلها الله لجبروتها، وتعنتها لتكون لهم مثلا؛ فهذا تعريض بالوعيد لهم وبشارة للمؤمنين باقتراب إراحتهم من ضرهم [٦٣] .

ونجد أنَّ الآية قد صُدِّرَتْ بـ(كم) وهنا وردت خبرية لا إنشائية [٦٤] ؛ وذلك للدلالة على الكثرة المفضية إلى التهويل في هذا الموضع؛ إذ ليس المراد سؤال النبي عن عدد من أهلكهم الله تعالى؛ بل الغاية هي إخباره بأنّ المُهلَكينَ كُثُر جدا وهذا يؤدي إلى شدِّ عضدِ الرسولِ(ص) والمؤمنين معه لأنّ الله تعالى معهم وهو قادرٌ على إهلاك هؤلاء القوم المعاندين لهم؛ وفي هذا السياق ورود الاستفهام بـ (هل) في قوله تعالى: ((هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا)) والاستفهام جاء هنا مسلطا على الفعل (تحس) ويراد منه كما يرى الشوكاني ((الإدراك القوي الجاري مجرى المشاهدة)) [٦٥] ولا نوافقه

على هذا التوجيه ذلك بأنّ قرائنَ السياقِ لا تعين على ذلك لأنَّ السياقَ هنا ورد تسليةً لنفس الرسول والمؤمنين وهذا يتطلب شدة في عقوبة المعاندين ليطمئن الرسول ومن معه؛ وهذا يتوافق مع قول البيضاوي من أنّ معنى (تحس) هو ((هل تشعر بأحد منهم)) (٦٦) ذلك بأنَّ الشعورَ يكون أخف وطأ من الرؤية لأنَّ الشعورَ إذا انتفى انتفى معه كلُّ شيء، وهذا يدلُّ على أنه لم يبقَ منهم شيءٌ حتى على مستوى الشعور لا على مستوى الرؤية؛ من هنا يكون القول بنفي الشعور أولى من القول بالرؤية؛ لأنّ الرؤية تدل على أنه يمكن أن يبقى منهم شيء لكي يُرَى؛ بيد أنّ نفي الشعور يدل على أنهم لا وجودَ لهم حتى على سبيل الإحساس الذي هو أدقُّ من الرؤية، فقد تحسُّ بوجود شيء لكنك لا تراه وبهذا يكون موجوداً في الشعور ولكن إذا نفيت الشعور فانك تكون قد نفيت الرؤية وزيادة؛. وهذا أولى وأنسب في تقوية الرسول وتطمين المؤمنين في هذا الموضع.

وما يسند أن الخطاب في الآية قد ورد على سبيل القوة هو أنّ الاستفهام بـ (هل) لم يكن حقيقيا؛ بل هو إنكاري أي لا تحس منهم أحدا أو تسمعُ لهم ركزا أي صوتا، والقول بدلالة الإنكار للاستفهام تؤدي إلى القول بدلالة العموم للفظة (أحدا) ؛ لأنها نكرة وردت في سياق نفي بـ (هل) وهذا يثبتُ أنَّ الرسولَ لم يحسْ بأي واحدٍ منهم ولم يسمعْ أيَّ واحدٍ منهم على سبيل العموم والجمع لهم وهذا أقوى في بيان مديات عقوبته تعالى وهو أنسب للقول بأنّ دلالة (تحس) هي تشعر.

الفرع الرابع: جملة الاستفهام بـ(كيف):

ذكرَ النحاةُ أنَّ لاسم الاستفهام (كيف) وجهين: الوجه الأول : هو الاستفهام؛ وهو الغالب والاستفهام إما أن يكون حقيقيا متضمنا معنى همزة

الاستفهام نحو قولنا: كيف زيد، فكأنك قلت: أصحيح زيد أم سقيم ، أ آكل زيد أم شارب، إلى غير ذلك من أحواله والأحوالُ أكثرُ من أن يُحاطَ بها، فجاءوا بكيف اسما مبهما يتضمنُ جميعَ الأحوال، أو يكونُ الاستفهام غيرَ حقيقي كأن يخرجُ مخرج التعجب كما في قوله تعالى : ((كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ)) (٦٧) وتكون في هذه الحال سؤالا عن الحال، أما الوجه الثاني لـ(كيف) وهي أن تأتي شرطية(٦٨) .

وقد وردَ الاستفهامُ بـ (كيف) في سورة مريم وذلك في قوله تعالى : ((فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا)) (٦٩) اذ بعد أن انتهتْ السيدةُ مريمُ (عليها السلام) من الولادة و نفَّذَتْ كلَّ ما أُمرَتْ به من قِبَلِ الله، حملتْ وليدَها وأقبلتْ به على أهلها وهم يرون عذراءَ تواجههم بطفل؛ فبالغوا في توبيخها، فسكتت السيدة مريم (عليها السلام) إذ لم يكن لديها حجة ، وأشارت إلى عيسى ففهموا من إشارتها بأنه هو الذي يجيبكم ويكشف الأمر لكم ، وكان اقتصارها على الإشارة للمبالغة في إظهار الآية العظيمة وانّ هذا المولود يفهم الإشارة ويقدر على العبارة فيكون كلامه حجة لها؛ فغضبوا وقالوا مع ما فعلت أ تسخرين منا، فأنكروا أن يكلموا من ليس من شأنه أن يتكلم ، وأنكروا أن تحيلهم إلى مكالمته ، إذ لم يعهد فيما سلف صبي يكلمه عاقل! (٧٠) ؛ فجاء الاستفهام بعبارة ((كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا)) والظاهر من سياق الحال أنَّ هذا الاستفهامَ الصادرَ من قومها لم يكن استفهاما حقيقيا؛ إذ لم يترقبوا من المخاطب جوابا ؛ بل ساقوا الاستفهام على سبيل التعجب والإنكار أي لا نكلم من كان في المهد صبيا، يقول الشوكاني : ((هذا الاستفهام للإنكار والتعجب من إشارتها إلى ذلك

المولود بأن يكلمهم))[٧١]؛ إذ ((ولم نعهد صبيا في المهد كلمه عاقل))[٧٢] ونحن لا نفعل ذلك ولا نكلمه البتة.

من هنا كان الاستفهامُ غيرَ حقيقي؛ بل هو منصرفٌ إلى الإنكار على مريم (عليها السلام)وتوبيخها؛ لأنها تستخف بهم بتكلم الصبي معهم، وذهب البيضاوي إلى أنَّ (كان) في جملة الاستفهام زائدة[٧٣] ، ولا نحسب أنّ القول بالزيادة في النص القرآني سائغة البتة؛ وإلا لِمَ ساقها سبحانه هنا وكان له أن يستغني عنها، إن (كان) هنا ليست زائدة يقول أبو السعود: ((كان لإيقاع مضمون الجملة في زمان ماض مبهم صالح لقريبه وبعيده ؛ وهو هاهنا لقريبه خاصة بدليل أنه مسوق للتعجب))[٧٤] ونحسب أنّ (كان) هنا تدل على مطلق الكون دون التحديد بزمن معين ماض أو حاضر إذ المراد لا نكلم صبيا في المهد في كل الأكوان عموما أي لا نكلم صبيا في أي وقت لا في الزمن الماضي ولا في الحاضر ولا في المستقبل ؛ لأنَّ هذا ليس من العقل بشيء؛ بهذا نجد أنَّ الاستفهامَ هنا قد وردَ ؛ لإنكار مضمون ما أشارت إليه مريم (عليها السلام) وتأسيسا على هذا تكون (كان) غير زائدة البتة.

الفرع الخامس: جملة الاستفهام بـ (أنّى):

وهي في المنظور النحوي من أسماء الاستفهام إذ يُستفهمُ بها عن المكان، يقول أبو البركات الانباري وهو في صدد عرضه أسماء الاستفهام في العربية : ((أين و أنّى سؤال عن المكان))[٧٥] وقد ترد في الكلام بمعنى (كيف) أو بمعنى (من أين) [٧٦] ، ((والمعنيان متقاربان يجوز أن يتأول كل واحد منهما للآخر))[٧٧] وبهذا فإنّ (أنّى) قد تُستعملُ للدلالة على المكان أو للدلالة على الكيفية أو لمعنى (من أين)؛ وذلك بحسب استعمال المتكلم لها والقرائن الحافة بها.

وقد سيقت (أنّى) في سورة مريم للاستفهام ؛ وذلك تحديدا في قوله تعالى: ((قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا)) (٧٨)

إذ ذكر الله جل وعلا في هذه الآية الكريمة أنَّ السيدة مريم (عليها السلام) لما بشرها الملك جبريل (عليه السلام) بالغلام الزكي (عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام) قالت: ((أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ)) إذ هتفت بكل ذعر.أي كيف ألد غلاما؟ أو من أين يكون لي غلام ؟ ولست بذات زوج، ولم أك بغيا، كالنساء الفاجرات اللاتي يتصلن بالرجال خارج نطاق العلاقة الشرعية ، ولا يتصور مني فجور البتة لأني طاهرة؛ ولهذا قالت: ((وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا)) ولكنه قطع لها حدوث ذلك، وأوحى إليها بأنه أمر يتجاوز المألوف، وسرٌّ لا يحيطُ به الناسُ ، فليس الغلامُ الذي ستنجبه وليدا يولد على طريقة التوالد الطبيعي؛ بل هو معجزة إلهية أكرمها الله بها فجعلها موضعا لها(٧٩)، والذي يتضح في هذه الآية أنَّ الاستفهامَ قد ورد حقيقيا لأنَّ مريم (عليها السلام) تعجبت مما بشرها جبريل فاستفهمت كيف سيكون؛ إذ لم تعهد في السابق أن تلد امرأة من غير أن يقربها رجل بنكاح ، سواء أكان بحلال أم بحرام؛ فإذا انتفى السببُ انتفى الولد ؛ فجاءها الرد من الله على لسان الملك جبريل (عليه السلام): ((قَالَ كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا)) (٨٠) والمعنى أنَّ اللهَ تعالى قد قال : انه سيوجد منك غلام ، ولم تكوني ذات بعل و لا تقترفين فاحشة ، فإنه تعالى على ما يشاء قدير ، ولا يمتنع عليه فعل ما يريد في إنشائه إلى المواد والآلات(٨١) .

ومما ورد من الجمل مستفهما عنه بـ (أنى) في سورة مريم أيضا هو قوله تعالى على لسان زكريا (عليه السلام) بعد أن بُشِّر بيحيى (عليه السلام)

حيث قال : ((قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِراً وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيّاً)) [٨٢] ؛ فحينما ندقق النظر في الآية الكريمة نلحظ أنَّ زكريا (عليه السلام) قد استفهم عن كيفية ولادة غلام له في الوقت الذي تنتفي عنده وعند زوجه كل سباب الإنجاب لولادة غلام حيث ذكر عارضين أساسيين يمنعان أن يكون لديهم غلام وقد صاغهما تعليلا لاستفهامه حيث قال : ((وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِراً وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيّاً)) فامرأته عاقر ويبدو أنها كذلك منذ زمن بعيد بدليل استعماله للناسخ (كانت) والأظهر لدينا أنَّ هذا الناسخَ لم يدل على الزمن الماضي فحسب بقدر ما يدل على مطلق الزمن ؛ ذلك بأنها عاقرٌ منذ أن تزوجها فهو ليس بالمرض أو الحالة العارضة بل يكشف أمر عقرها إلا بعد الزواج ، فكان التعبيرُ بـ (كانت) ههنا يدل على أنَّ حدوثَ غلامٍ من زوجه هو أمر محال مطلقا، أما العارض الثاني فهو انه رجل كبير السن إذ بلغ من الكبر عتيا ومعنى العاتي هو المجاوز للحد[٨٣] ، وهذا يدل على أنه قد تجاوز حد السن الذي يسمح بان يكون منه ولد.

وتأسيساً على هذين التعليلين ورد الاستفهام وقد سبقهما؛ لأنّ من الغرابة أن يكون له غلام مع وجود هذه الأمور المانعة، من هنا نقول إنّ هذا الاستفهام هو استفهام حقيقي ورد على سبيل التعجب من أخبار السماء له بأنه سيكون له ولد فهو ليس شاكا قط بأنّ الله سيعطيه ولدا بل هو مستفهم على سبيل العجب فقال :((رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ)) أي كيف سيحدث ذلك أو من أين ذلك مع امتناع الأمور الطبيعية الموجبة له، ولهذا أجابه سبحانه بقوله : ((قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئاً)) [٨٤] ، ويبدو أنّ كلتا الحالين متشابه أي الحال الذي سألت فيه مريم (عليها السلام) بـ(أنى) عن ولادة عيسى (عليه السلام) وهي غير ذات بعل ،

والأمر الذي سأل فيه زكريا (عليه السلام) عن ولادة يحيى (عليه السلام) والحال في ذلك من المحال لأنه شيخ كبير وزوجه عاقر، من هنا نفهم أنَّ السؤالَ بـ (أنى) في سورة مريم (عليها السلام) قد ورد حقيقياً وهو مسلَّطٌ على الأمور المستحيلة الحدوث أو المتعجب من حدوثها فقط، وهذا يعطي خصوصية معينة للسؤال بـ (أنّى) عن سائر أخواتها من أسماء الاستفهام.

الفرع السادس: جملة الاستفهام بـ (أي):

أيُّ اسم من أسماء الاستفهام يطلب بها تمييز أحد المشاركين في أمر ما يعمهما، ويسأل بها عن الزمان والمكان والحال والعدد والعاقل وغيره على حسب ما تضاف إليه[٨٥] ، فهي يحكم عليها بما يضاف إليه وهي لا تكون إلا مضافة[٨٦] ، وقد أشار النحويون إلى أنَّ جميعَ أسماء الاستفهام مبنية لتضمنها معنى حرف الاستفهام إلا (أي) فإنها معربة [٨٧] ؛ وعلل النحاة سببَ إعراب اسم الاستفهام (أي) بسببين الأول: إنهم بنوها على الأصل في الإعراب تنبيها على أنَّ الأصلَ في الأسماء هو الإعراب، والثاني: إنهم حملوها على نظيرها ونقيضها، فنظيرها (جزء) ونقيضها (كل) وهما معربان فكانت معربة [٨٨] .

وقد وردت (أي) مستفهما بها في سورة مريم وذلك في قوله تعالى: ((وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا)) [٨٩].

حيث وصفَ اللهُ في هذه الآية الكريمة غرورَ المشركين بالدنيا وشدة ولعهم بها ذلك بأنّ الضمير (هم) في المتعلق (عليهم) عائد على هذا الصنف من المشركين من أمثال النضر بن الحارث ومن دونه من كفار قريش حيث كانوا في رغد من العيش والنعمة والراحة فقد كانوا يرجلون شعورهم ويدهنون

ويطيبون ويتزينون بالزينة الفاخرة ثم يدعون مفتخرين وكان أصحاب النبي من المؤمنين فيهم قشافة وفي عيشهم خشونة وفي ثيابهم رثاثة؛ فحينما تتلى على المشركين آيات الله البينات الواضحات لمن تأملها و فكر فيها قال الذين كفروا بالله وبكتابه وبآياته للذين آمنوا ((أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا)) فكانَ في مقولتهم هذه استفهامٌ بـ (أي) إذ المعنى أيُّ الفريقين منا ومنكم أوسعُ عيشا ، وأنعمُ بالا ، وأفضلُ مسكنا ، وأحسنُ مجلسا، وأجمعُ عددا وغاشية في المجلس ، نحن أم أنتم [٩٠] ؛ ذلك بـ ((أنهم لما رأوا أنفسهم أحسن منازل ومتاعا من ضعفاء المسلمين اعتقدوا أنهم أولى منهم بكل خير وأن أتباع الرسول {صلى الله عليه وسلم} لو كان خيرا ما سبقوهم إليه))[٩١] .

وعند التأمل نقفُ على دلالة الاستفهامَ بـ (أي) في هذا الموضع إنما يدلُّ على التقرير ولا يُرادُ به الاستفهامُ الحقيقي؛ ذلك بأنَّ الكفارَ يدركون تمام الإدراك أنهم أفضل من المسلمين وأرفع شأنا منهم بدليل أنهم أغنى منهم وأكثر أموالا؛ لأنَّ منظورَهم في الترجيح والأفضلية هو منظور دنيوي مادي ويسند ذلك أنّ التفضيل جرى في قولهم ((خَيْرٌ مَقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا)) فالمقام يعني المجلس الحسن ((وهو موضع قامتهم وهو مساكنهم ومنازلهم))(٩١) ؛ أما الندي فيراد به الصاحب ,أو المجلس ,والمجتمع ,وكلا ميدان التفضيل مادي يقاس على فخامة المجلس وغنى الندي أي الجليس، ويبدو أنَّ الشنقيطي قد أدرك الدلالة الصادقة لهذا الاستفهام في قوله: ((الظاهر أنه استفهام تقرير؛ ليحملوا به ضعفاء المسلمين الذين هم في تقشف ورثاثة هيئة على أن يقولوا أنتم خير مقاماً وأحسن نديا منا))[٩٢] غير أنَّ الله تعالى قد أجاب تقريرهم هذا للمسلمين بقوله: ((وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَاثًا وَرِئْيًا)) [٩٣] فنجد أنَّ الله تعالى قد تنزل معهم إلى مستوى تفكيرهم فحاججهم بميدان

التفضيل نفسه الذي اختطوه لأنفسهم؛ فـ ((المعنى أهلكنا قرونا كثيرة أي أمماً كانت قبلهم وهم أكثر نصيباً في الدنيا منهم فما معهم ما كان عندهم من زينة الدنيا ومتاعها من إهلاك الله إياهم لما عصوا وكذبوا رسله فلو كان الحظ والنصيب في الدنيا يدل على رضا الله والمكانة عنده لما أهلك الذين من قبلكم الذين هم أحسن أثاثاً ورئياً منكم))[٩٤] ، وبهذا يبطل تقريرهم بالاستفهام في هذا الموضع ويرجعوا خائبين لا نصير لهم البتة.

المطلب الرابع : **أثر بناء جملة التمني في توجيه المعنى في سورة مريم**:

الفرع الأول: **جملة التمني بـ(ليت)**:

تُعَدُّ (ليت) في المنظور النحوي من النواسخ ، وهي تحملُ دلالةَ التمني أينما دخلتْ على الجمل[٩٥] ، وجملة التمني كما هو شائع في العرف البلاغي من الجمل الانشائية التي تطلبُ من المدعو انجازَ شيء عسير الأداء ، و(ليت) تُستَثنى من أخواتها في مسألة كف عملها إذا اتصلت بـ (ما)؛ إذ (ليت) هي الوحيدة من بين أخواتها التي يجوزُ فيها الإعمالُ أو الإهمالُ عند اتصالها بـ (ما)[٩٦].

ولقد سيقَتْ جملة التمني بـ (ليت) مرة واحدة في سورة مريم ذلك في قوله تعالى: ((فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسْيًا مَنْسِيًّا)) [٩٧]

فقد تشيرُ الآية القرآنية إلى حملِ السيدة مريم بعيسى (عليهما السلام) وتصورُ الحالة النفسية التي مرت بها قبل الولادة وبعدها، منذ لحظة ابتعادها عن قومها وهي تحملُ في بطنها وليدَها ، فأجاءها المخاض ، ولفظة (فَأَجَاءَهَا) تحمل معان عديدة منها شدة الموقف، وعسر الاضطرار ، وحدوث المخاض سريعا دون أي علامات سابقة تدل على وقوعه وهذه المعاني كلها تحملها لفظة

(فأجاءها)، أما الفعل (جاء) في السياقات القرآنية فهي غالبا ما يدل على المفاجأة والسرعة، ومن جنس ذلك قوله تعالى : ((حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ)) (٩٨) في حين أن الفعل (ألجأها) يحمل معه –على وفق قرائنِ السياق الذي وردَ فيه- معنى اللجوء والاستعانة بدليل قوله تعالى بعد هذا الفعل ((إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ)) وهنا حرف (إلى) الذي يدلُّ على انتهاء الغاية ؛ للاستعانة بالنخلة حتى لا تقع مريمُ (عليها السلام) على الأرض، لذا اثر النص انتقاء هذا الفعل ليؤدي المطلب الدلالي ويصور الحال التي كانت عليها مريم(عليها السلام) في تلك اللحظة الحرجة من حياتها كلها، وهي مجيء المخاض ، وغشيانه لها، فما كان إلا أن تلتجئ إلى جذع النحلة لتستتر به من شدة حيائها، فهي تجعل منه مسندا تتكئ عليه لحظة الولادة لشعورها بالحاجة إلى صلب تستند إليه لتكتسب قوة وتماسكا مما يخفف عليها ألم المخاض والولادة معا ، فكان الجذع هو المأوى الذي لجأت إليه مريم (عليها السلام) في زمن الولادة، وهذا الالتجاء إلى النخلة جاء بأمر من الله وإرشاد منه ؛ ليريها من آياته ما يسكن من روعها ، ويخفف من اضطرابها ، ويقوي من عزيمتها، فأطعمها الرطب الذي هو خرسة النفساء الموافقة لها ،وبظهور تلك الآيات لمريم (عليها السلام) فإن الاستقرار سوف يتملكها وتقر عينها، وما يدل على أنَّ الله تعالى أمرها بالالتجاء إلى جذع النخلة لعلمه بشدة خوفها هو ورود جملة النداء في الآية الكريمة وهو قوله تعالى على لسان مريم (عليها السلام) :((يا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسْيًا مَنْسِيًّا)) إذ إنّ التمني بـ (ليت) هاهنا ودخوله على الجملة الاسمية التي تدل على الثبوت لدليل قاطع يوحي بأنَّ مريمَ (عليها السلام) كانتْ في أدنى حالات الضعف والانهيار في تلك اللحظة ؛ لأنها خائفة مما يحدث ومما سيحدثُ مستقبلا لأنها قد أنجبت ولدا من

غير أب وهذا أمر محال، لذا تمنت الموت لتتخلصَ من هذا الوضع؛ وبناءً على درجة خوفها هذه جاء الأمر لها باللجوء إلى النخلة والأكل والشرب، وكيفية التعامل مع قومها.

بهذا نجد أنَّ الآية المباركة تنبؤنا عن صورة خوف مريم (عليها السلام) ورعبها مما يحدث فهي تكشف عما يختلج تفكيرها وعن صعوبة موقفها فقالت : ((يا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسْيًا مَنْسِيًّا))، فكأنَّ الجملةَ الانشائيةَ مركبةٌ من أداة النداء المقرونة بالتمني، والظاهر أنّ قرنَ النداءِ بالتمني يُعدُّ من أقوى دلائل الأسى والحزن واليأس الذي يشعرُ بها الإنسان،ذلك بأنه ينادي الموت ليقضي عليه بدلا من الحياة وبهذا فهو يشعرُ أنَّ الموتَ بعيدٌ وأنَّ الحياةَ قاسية عليه إلى الحد الذي لا يحتملها لذا ينادي البعيد (الموت) حتى يخلصه من تلك الحياة وهذا النداء ينص على أنّ الموت على سعة الخوف منه هو أهون عليها من تملك الخوف عليها في الدنيا ؛ لأنّ الأمرَ جللٌ، ولا يحتملُ البتة ؛لأنَّ قومَها سيكذبونها ؛ لأنها جاءتهم بمولود من غير أب، وقد يكون النداءُ هنا من باب التوجع إذ تستعمل (يا) بمد الألف للتفريغ عن ألم النفس والتعبير عن الحزن والندب والتحسر على أنّ الوضع الذي هي فيه ليس بحسن ومن جنس ذلك قوله تعالى: ((وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَداً)) (٩٩) ومنه أيضاً قوله: ((وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً)) (١٠٠) ومن ذلك قوله :((إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَاباً قَرِيباً يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَاباً)) (١٠١) فنشهد أنَّ في هذه المواضع كلها دلالة على التحسر والندم والحزن وندب الحال الذي فيه القائل.

وقد ذهب المفسرون إلى أنَّ مريمَ (عليها السلام) نادت بهذا التمني بسبب فرطها من شدة الحياء على حكم العادة البشرية ، لا كراهة لحكم الله ، أو شدة التكليف المناط بها ، لأنَّ قومَها بهتوها على الرغم من أنها متيقنة من براءة ما رموها به ومدركة لعفتها وطهرها ، وبضد ما قربت من اختصاص الله بغاية الإجلال والإكرام ، لأنه مقام دحض ، قلما تثبت الإقدام ، أو لحزنها على الناس أو يأثم الناس بسببها[١٠٢] .

أماّ النخلة التي ورد ذكرها في الآية الكريمة فقد كانت واضحة المعالم لمريم (عليها السلام) إذ وقفت بجنبها، مما يدلُّ على أنَّ النخلة محددةً والألف واللام في لفظة (النخلة) عهدية لا جنسية، فدفعَ المخاضُ مريمَ (عليها السلام) البتول إلى أن تستندَ عليها ، فأثمرَ الجذعُ ، وسرى النهرُ تحت قدميها، فالصورة هنا تنبأ عن إظهار القدرة والرعاية الإلهية للوليد وأمه .

ولعله لو أريد من الآية الكريمة أنّ جذع النخلة مقصودٌ بالنخلة المثمرة لجاء سياقُ الكلام على غير الصيغة التي وردَ بها النصُّ القرآني فتكون (فأجاءها المخاض إلى نخلة) دون ذكر الجذع فتدل النخلة هنا بناء على دلالة التضمن على الجذع بالضرورة ، في حين أنَّ سياقَ الآية يشيرُ إلى الجذع دون الثمر الذي يكونُ في النخلة إذ حددَّ النصُ المرادَ أي التجئي إلى الجذع من النخلة وهذا يدل على أنَّ النخلةَ غيرُ مثمرةٍ وإلا لقال (فأجاءها المخاض إلى نخلة) ، فجاء الأمر إلى مريم (عليها السلام) بهز الجذع ، وهز الجذع يحتاج إلى قوة، فكيف إذا كان الأمر صادرا إلى امرأة فضلا عن كونها تعاني ألم الوضع، وهذا من باب الإعجاز القرآني يضاف إلى تلك المشاهد والصور الخارقة التي تكمل بعضها البعض ، لتخدم غرضا واحدا هو جعل المتلقي يؤمن بنبوة هذا

الوليد ، وان حمل السيدة مريم (عليها السلام) به هي مسألة إلهية ، مثلما أينع جذعُ النخلة العجفاء وأثمرَ بالرطب في غير موسمه .

ومن اللافت للنظر أنَّ جملة التمني التي قالتْها مريم (عليها السلام) ؛ لم تتمنَ فيها الموتَ بعد الولادة وإنما قبلها ؛ لأنَّ وقوعَ الموتِ بعدها لا يدفعُ عنها الطعنَ في عرضها ، ولا المعرة على أهلها، فتطرقها القالة والحال هذه.

لذا ورد في الآية الكريمة أسلوب التمني مقرونا بياء النداء، للدلالة على تمني الموت حسرة وحزنا على ما سيقعُ لها مستقبلا؛ وقد اتفق النحاة والبلاغيون على أنَّ الحرفَ المشبه بالفعل (ليت) يخرج للتمني أو الأداة التي يتمنى بها . غير أنَّ مفهومَ التمني عند النحاة يختلف عنه عند البلاغيين ، فالتمني عند النحاة يقع في الممكن نحو قولنا (ليت زيدا قائما)، وكذلك يقع في المستحيل نحو(ليت الشباب يعود يوما)، بيد أنّ البلاغيين لا يقع التمني عندهم إلا في المستحيل أو القريب من المستحيل [١٠٣] .

ومن النظر في سياق الآية القرآنية وتأثيرها في السامع وما رافقته من صور اعجازية تدفعنا إلى تبنّي المفهوم البلاغي للتمني بسبب ما يعترينا من موقف انفعالي لما تعنيه هذه الحادثة من حدث جلل يقع لامرأة مشهود لها بالنقاء والعفة وحسن السيرة كمريم(عليها السلام) العذراء ، لما تمنت لو حصل لها حادثُ الموت وأصبحت منسية لم يلتفتْ إليها أحدٌ، ويُنسى ذكرُها ؛ لأنَّ سجية النفوس البشرية تحب حتى بعد موتها أن تذكر بين الناس ، لذا تمنت أن يكون موتها مشتملا على موتين، الأول موت الانقطاع عن الحياة وموت الجسد وهو متحقق في قولها:((يا لَيْتَنِي متُّ قَبْلَ هَـذَا))، والثاني موت لحياة الذكر، بدليل قولها ((وَكُنْتُ نَسْيًا مَنْسِيًّا)) ذلك بأنّ هذه الجملة المنسوخة بـ (كنت) داخلة في نطاق التمني بدلالة العطف بـ (الواو) إذ يشترك حكم

الجملتين الأولى والثانية برابط العطف، وهذا يدل على منتهى الموت، لذا وردت في سياق النص عبارة (نسيا)؛ لتكوّن موتا ثانيا مع الموت الأول، ثم أوغلت في طلب محو الذكرى قولها (منسيا) أي إن هذا النسيان على الرغم من أنه نسيان فهو منس أيضا إذ لا يذكر البتة فكأنها بذلك طلبت لنفسها نسيانين لا نسيانا واحدا، وقد تحقق هذا التمني بوساطة أسلوب النداء ، الذي يخرج في الحقيقة لدعوة الآخر،غير أنه ورد في السياق القرآني بأسلوب آخر هو التمني بلحاظ حرف التمني (ليت) ويعد هذا من الازدواج الوظيفي للحرف حقيقة ومجازا؛ وهنا لابدَّ من أن نشيرَ إلى أنَّ (ليت) لا ينفعُ أن تأتي وحدَها في هذا الموضع ؛ لأداء معنى التمني باعتبار أنها تفيدُ المستحيلَ أو القريبَ منه، بل يتطلبُ الموقفُ أبعدَ من هذا؛ لذلك عُشِّقتْ بـ(ياء النداء) لإفادة التصريح والتأوه، فضلا عن إقامة مرارة الشكوى التي كانت تكشفُ حقيقة حال المتكلم لأنه على خلاف جريان العادة ، وكأن الذي يحصل هو معجزة تخرج عن إرادته وهذا هو المعنى المراد ولا يتحقق إلا باجتماع ليت مع (يا) ليكشف عن أسرار التعبير القرآني .

المبحث الثالث

أثر بناء جملة الإنشاء غير الطلبي في توجيه المعنى في سورة مريم

إنَّ جملة الانشاء كما ترد لطلب شيء ما من الخاطب؛ فأنها ترد أحيانا للتعبير عن حال انفعالي من دون أن يتحقق فيها ملحظ الطلب من المتلقي ؛ لأداء شيء معين يبتغيه المتكلم، وقد وردت جملة الانشاء غير الطلبي في سورة مريم(عليها السلام) كما وردت جملة الانشاء الطلبي.

المطلب الأول: أثر بناء جملة التعجب في توجيه المعنى:

عرف النحاة التعجب بقولهم: ((انفعال يعرض للنفس عند الشعور بأمر يخفى سببه ولهذا قيل: إذا ظهر السبب بطل التعجب، ولا يجوز التعجب منه)) (١٠٤).

وقد قسم النحاة التعجب على قسمين هما:

القسم الأول: سماعي لا ضابط له؛ بل يعرف بالقرينة كقوله تعالى: ((كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا)) (١٠٥) فـ(كيف) اسم استفهام مبني على الفتح في محل نصب حال وهو يفيد التعجب وكذلك قولنا: سبحان الله ، ولله دره.

القسم الثاني : وهو القياسي وله صيغتان وضعتا لإنشائه وهما :

الصيغة الأولى: (ما أفعل) ومذهب الخليل وسيبويه وجمهور البصريين أنّ (ما) نكرة تامة بمعنى شيء، كأنك قلت (شيء أحسن زيدا) ولم ترد شيئا بعينه إنما هي في غاية الإبهام للشيء وإذا كان مبهما كان أعظم في النفوس، والشيء إذا أبهم كان أفخم لمعناه وكانت النفس متشوقة إليه لاحتماله أمورا كثيرة، ولهذا وجدت (ما) في التعجب دون غيرها، ومسوغ الابتداء بالنكرة معنى التعجب، وما بعدها خبر و الفعل(أحسن) فعل ماضي مبني على الفتح؛ بدليل لزومه مع ياء المتكلم نون الوقاية نحو(ما أحوجني إلى عفو الله) والفاعل ضمير مستتر يعود على (ما) وهو مذكر غائب مفرد لا يتبع بعطف ولا يؤكد بضمير ولا بنفس و لا ببدل ففي قولنا (ما أحسن زيدا) زيدا منصوب على التعجب وحقيقة نصبه بوقوع الفعل قبله عليه ،فهي جملة مركبة من مبتدأ وخبر(١٠٦) .

وذهب الأخفش إلى أنَّ لـ(ما) ثلاثةَ أحوال هي:

الأول: كقول جمهور البصريين.

الثاني: إن (ما) موصولة والفعل صلته، والخبر محذوف واجب الحذف؛ والتقدير: الذي أحسن زيدا عظيم.
الثالث: إن (ما) نكرة موصوفة الفعل صفتها، والخبر محذوف واجب الحذف؛ والتقدير: شيء أحسن زيدا عظيم[١٠٧] .

الصيغة الثانية: (أفعل به) نحو أقبح بالبخل؛ وهي ما أقبحه، فمدلول الصيغتين من حيث التعجب واحد و(أفعل) ماض جاء على صورة الأمر مبني على فتح مقدر لمجيئه على هذه الصورة، وأصله (أفعل) بصيغة الماضي، وهمزته للصيرورة أي أقبح البخل: أي صار ذا قبح، كقولهم أبقلت الأرض ؛ أي صارت ذا بقل وهو النبات، وأثمرت الشجرة ؛ أي صارت ذات ثمرة، فغُيِّرَ اللفظ من صورة الماضي إلى الأمر لقصد التعجب فقبح إسناد صيغة الأمر إلى الاسم الظاهر فزيدت الباء في الفاعل فـ (الباء) زائدة و(البخل) فاعل مرفوع بضمة مقدرة منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد[١٠٨] ، فلما كان (أقبح) فعلا؛ كان لابدَّ له من فاعل فجعل الجار والمجرور في موضع رفع لأنه فاعلٌ كقوله تعالى: ((وَكَفَى بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَى بِاللَّهِ نَصِيرًا)) [١٠٩] أي وكفى الله وليا وكفى الله نصيرا والباء زائدة للتوكيد؛ وكذلك هاهنا الباء زائدة لأنَّ الأصلَ في كلامنا (أحسن بزيد) أحسن زيد أي صار ذا حسن؛ فنقل إلى لفظ الأمر وزيدت الباء عليه؛ وقد بيّن النحاة أنّ فعل التعجب (أفعل) ليس بفعل أمر ؛ أن فعل الأمر يكون بصيغة واحدة في جميع الأحوال تقول: يا رجل أكرم بزيد ويا رجلان أكرم بزيد ويا رجال أكرم بزيد ويا هند أكرم بزيد ويا هندان أكرم بزيد ويا هندات أكرم بزيد؛ فيكون مع الواحد والاثنين والجماعة والمؤنث على صيغة واحدة؛ لأنه لا ضمير فيه ولو كان أمرا لكان ينبغي أن يختلف فنقول في التثنية (أكرما) وفي جمع الذكور (أكرموا) وفي إفراد

المؤنث (أكرمي)؛ فتأتي بضمير الاثنين والجماعة والمؤنث فلما كان على صيغة واحدة دل على أنّ لفظه لفظ الأمر ومعناه معنى الخبر [١١٠] .

وقد وضعَ النحاة شروطا للفعل الذي يُصاغ منه فعلا التعجب قياسيا وهي: أن يكون الفعل ثلاثيا وأن يكون متصرفا وأن يكون تاما وأن يكون مثبتا وأن يكون تابع معناه للكثرة ، فلا يصاغان من فعل لا يقبل ذلك نحو: مات وفني وحدث؛ لأنه لا مزية فيه لبعض فاعلية على بعض، وغير مبنيا للمفعول ولا معبر عن فاعل بـ (أفعل ـ فعلاء)[١١١] .

واشترطَ النحاة أن يكون الفعل واقعا في الماضي واستمر، حتى يستحق أن يتعجب منه، أما الحال الذي لم يتكاملْ بعد، والمستقبل الذي لم يدخلْ بعد في الوجود ، والماضي الذي لم يستمرْ؛ فلا يستحق التعجب منها؛ فلهذا كان أشهر صيغتي التعجب على الماضي أعني : ما أفعل، ولا يبنى فعل التعجب إلا من فعل مضموم العين في أصل الوضع ، أو من منقول إلى فعل إذا كان من ما أضرب وما أفعل ليدل بذلك على أنّ التعجب منه صار كالغريزة ، لأنّ باب فعل موضوع لهذا المعنى[١١٢] .

وقد وردت جملة التعجب في سورة مريم (عليها السلام)على الصيغة الأولى (افعل به) وذلك تحديدا في قوله تعالى: ((أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ)) [١١٣]

إذ يقولُ تعالى مخبراً عن حال الكافرين الجاعلين له أندادا والزاعمين أنّ له ولدا إنهم يوم القيامة يسمعون ويبصرون الحقائق التي أخبرتهم بها الرُّسل فهنا يقع التعجب على لسان الرسول والمؤمنين في قوله تعالى ((أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ))؛ ذلك بأنّ اللهَ لا يُوصَفُ بالتعجب البتة؛ بل التعجب هنا من الرسول والمؤمنين فما أسمع الكفرة وما أبصرهم في ذلك اليوم العظيم؛

فحينما يرجعون إلى الله يكونون أشد ما يكونون سمعا وبصرا من هنا يقع التعجب من حدة سمعهم وأبصارهم فهم الآن يسمعون كأفضل ما يكون السمع ويبصرون كأفضل ما يكون عليه البصر، فما أسمعهم ، وما أبصرهم بالحق ، فما أعجب حالهم ! لا يسمعون حين يكون السمعُ والبصرُ وسيلتين للهدى والنجاة ففي هذا اليوم العظيم يتبين لهم وجه الحق فيما اختلفوا فيه كما حكي اعترافهم به في قوله تعالى: ((وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ)) [١١٤] لذا يندمون حين لا ينفعهم الندم ويتمنون الرجوع إلى الدنيا ليتداركوا فلا يجابون إلى ذلك بل يسلكُ في كلً ما يؤذيهم ويهلكهم ويرديهم [١١٥]، ونجد أنّ ثمة حذفاً في جملة التعجب وهو الضمير هم من قوله (وَأَبْصِرْ) وذلك اكتفاء بالضمير الأول في قوله ((أَسْمِعْ بِهِمْ)) والفاعل في هذه الجملة هو الضمير (هم) فهو في موضع رفع للفاعلية[١١٦] ؛ لأنَّ السماعَ يكون لهم والإبصار يكون لهم أيضا؛ وبهذا فهم مَنْ يؤدي هذه الأفعال؛ من هنا كانوا هم الفاعلين لها، أما الرسول والمؤمنون فهم من يتعجب من حال أولئك الكفرة لأنهم يسمعون ويبصرون ولا يهتدون إلى الحق؛ وتأسيسا عليه حققت جملة التعجب بهذا البناء أمرين:

الأول: إن هؤلاء القوم (الكفرة) يصدّون عن السبيل لا لأنهم لا يسمعون ولا يبصرون بل لأنهم معاندون؛ لهذا حَقَّ عليهم العذاب.

الثاني: نفهم من التعجب أنَّ الوسيلةَ إلى معرفة الحق والتصديق بالرسل هي السماع والإبصار، إذ حاسبَ الله الكفرة لأنهم يسمعون ويبصرون ولا يرعون؛ لذا نجدُ أنَّ اللهَ تعالى غالبا ما يسند الرسل بالمعجزات المسموعة والمرئية لأنها أصلُ الإيمان ولتكونَ حجة على من يكفرُ بها ويصد عنها حيث

لا سبيلَ للمسامحة والحال هذه، مما تقدَّمَ يمكن القول إن بناء جملة التعجب في هذه الآية الكريمة كانت تمثل حجة ملزمة للناس بالمحاسبة في حال خروجهم عن طريق الحق بالصد وابتعاد دون الإتباع والتقبل لأنّ السمعَ والصبرَ هما أساسا الإيمانِ على وجهِ الإطلاق.

المبحث الرابع:

أثر تناوب بناء جملتي الخبر والإنشاء في توجيه المعنى في سورة مريم

إذا كان السائدُ في الدرس النحوي أنَّ الجملة الخبرية تنتجُ دلالةَ الاخبار والجملة الانشائية تنتج دلالة الانشاء؛ فإنّ ثمة خروجا عن هذا السائد في حال دلت الجملة الخبرية على الانشاء والجملة الانشائية على الاخبار، وهذا ما يطلقُ عليه بظاهرة التناوب بين أسلوب الخبر وأسلوب الإنشاء؛ وقد عرَّف أحدُ الباحثين المعاصرين التناوبَ بقوله: ((هو أن ترد الجملة خبرية من حيث البناء التركيبي لكنها في الوقت نفسه دالة على الإنشاء مضمونا ، وقد يردُ المبنى إنشائيا من حيث الشكل وهو مشحون بدلالة الإخبار))[١١٧] ويبدو أنَّ الفيصلَ في معرفة ذلك هو السياق؛ إذ ((يقوم السياق وقرائنه بوظيفة الكشف عن هذه الظاهرة والدواعي التي أنتجتها))[١١٨] وقد رصد البلاغيون الأغراض التي من أجلها ينوب أسلوب الخبر مناب أسلوب الإنشاء والأغراض التي من أجلها ينوب أسلوب الإنشاء مناب أسلوب الخبر وهي على النحو الأتي:

الأغراض التي ينوب فيها بناء الجملة الخبرية مناب الإنشاء[١١٩]

١- التفاؤل بلفظ الماضي لتصوير الشيء في صورة الواقع المحقق إذا قيل لك في مقام الدعاء: (عافاك اللهُ من كلِّ بلية) و(عصمك اللهُ من الزلل وأذاقك حلاوة التقوى، وأودع صدرك برد اليقين)؛ فهذه الأمور مما لم يقع، ومقتضى الظاهر أن يعبر عنها بصيغة الدعاء فيقال : اللهم عافه ، واعصمه ، وأذقه ،

وأودع صدره؛ لكن المتكلم أوردها بصيغة الماضي، ووضعها موضع الإنشاء دلالةً ليصورها في صورة الأمور الحاصلة التي حقها أن يخبر عنها بألفاظ ماضية تفاؤلا بأن حصولها في حكم الأمر المنتهى.

٢- إظهار الحرص على وقوع الأمر؛ ذلك إن طالب الشيء حين تعظمُ رغبتُه فيه يظلُّ يهجسُ به ، ويكثرُ من تصوره حتى انه قد يخيل إليه حاصلا ، كما تقول : (رزقني الله حج بيته المعمور وكرَّمني بزيارة قبر نبيه) وأنت هنا تعبِّرُ عما لم يقعْ في صورة ما وقع قصداً إلى إحضار حرصك الشديد على وقوع هذا الأمر، ولهذا يقع الخبرُ موقعَ الإنشاء لتحقيق هذا الغرض.

٣- الاحتراز عن صورة الأمر تأدبا واحتراما، كقول الولد لوالده (يخصني الوالد بساعة من وقته) بدلا من (خصني بساعة من وقتك).

٤- حمل المخاطَب على المطلوب، بأن يكون المخاطَب ممن لا يحب ان يُكَذِّب الطالِب، كقولك لزميل لك يصعب عليه أن يُظهرك بمظهر الكاذب: (تنتظرني غدا) بدلا من (انتظرني) فأنت بهذه الصيغ تحمله على الانتظار بألطف وجه ؛ لأنه إن لم ينتظرك غدا كان خبرك الذي قلته له (تنتظرني غدا) كاذبا ، وهو لا يريد لك ذلك ، ومن ثم ينتظرك وتحقق صيغة الخبر الذي توجهت به إليه.

٥- المبالغة في الطلب للتنبيه على سرعة الامتثال ، كقوله سبحانه : ((وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ)) [١٢٠] لم يقل بصيغة النهي (ولا تسفكوا) بل جاء بدلا من ذلك بالخبر (لا تسفكون) قصدا للمبالغة في النهي حتى كأنهم نهوا فامتثلوا ثم جاء بصيغة الخبر لتصور هذا الامتثال.

٦- التنبيه على تيسير المطلوب لقوة الأسباب، كقول القائد لجنده: (يأخذون بنواصي ذوي الهياج ، وتذبحونهم ذبح النعاج) لم يقل خذوا بنواصيهم ، واذبحوهم . بصيغة الأمر المناسبة لهذا المقام ، بل آثر الصيغة الإخبارية لينبه

على سهولة الأمر وقوة الأسباب فتك جنده بأعدائهم من ذوي الشغب والهياج ، حتى كأنهم يقومون في الحال دون أي عائق [١٢١] .

المطلب الأول : أثر تحول بناء الجملة الاسمية إلى معنى الانشاء:

الفرع الأول: أثر تحول بناء الجملة الاسمية إلى معنى الدعاء:

ذهب البلاغيون إلى أنَّ الدعاءَ يتحققُ بأسلوبين هما الأمر والنهي فإذا كان كلٌّ من الأسلوبين صادرا من الأدنى إلى الأعلى على سبيل التضرع والاستغاثة ، فإنه يكون عندئذٍ قد أفاد كلٌّ منهما الدعاءَ؛ ولكن هذا الأمرَ لم يقتصرْ على الأسلوب الإنشائي فقد يردُ التعبيرُ عن الدعاء مسوقا بالجملة الخبرية المبنى الإنشائية المعنى كما في قوله تعالى: ((وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا)) [١٢٢] فقد عبَّرَ في هذه الآية بالجملة الاخبارية الاسمية (وَالسَّلَامُ عَلَيَّ) ؛ للدلالة على معنى الدعاء والله أعلم .

وقد وردتْ هذه الجملة الخبرية مسبوقة بـ (الواو) وذهبَ النحويون إلى أنَّ هذه الواو هي حرف عطف [١٢٣] ، وجملة (وَالسَّلَامُ عَلَيَّ) معطوفة على جملة (إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ)) على كونها مقول القول [١٢٤] ، وذلك في قوله تعالى على لسان عيسى: ((قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيّاً)) [١٢٥] فكأنَّ نبيَّ الله عيسى (عليه السلام) سأل ربَّه وطلبَ منه ما أخبر الله تعالى أنه فعله بيحيى (عليه السلام)، ولا بدَّ في الأنبياء من أن يكونوا مستجابي الدعوة ، فالسلامُ عبارةٌ عما يحصلُ به الأمان التام في المواطن الثلاثة وهي يوم الولادة فلم يقربْه الشيطانُ ويوم الموت فلا يفتن في قبره ويوم البعث حيا فلا يحزنه الفزعُ الأكبرُ ويكونُ من الآمنين السعداء مصونا عن الآفات والمخافات في كلِّ الأحوال[١٢٦] ؛ فجاءَ التعبيرُ بالجملة الاسمية –هنا- لأنَّ استخدامَ الخبر في الدعاء يعطي معنى التفاؤل باستجابة الله الدعاء وتحققه في الواقع حتى يكونَ

خبرا [١٢٧] كما إن التعبير بالجملة الاسمية يفيد الدلالة على الاستمرار والدوام [١٢٨] ؛ إذ التعبير بها أثبت وآكد من الجملة الفعلية [١٢٩] ؛ لهذا وردَ بناءُ جملةِ الدعاء على الاسمية ؛ لتحقيق كلِّ هذه الدلالات مجتمعة والله أعلم .

الفرع الثاني: أثر تحول بناء الجملة الاسمية إلى معنى النهي:

ذهبَ علماءُ النحو وأربابُ البلاغة إلى أنَّ أسلوب النهي لا يتحققُ إلا من خلال أداة النهي وهي (لا) الناهية الجازمة إذ تدخلُ على الفعل المضارع فتجزمُه [١٣٠] ، وعند النظر في سياقات سورة مريم(عليها السلام) نجدُ أنَّ الجملة الخبرية قد وردَتْ فيها للتعبير عن دلالة النهي كما في قوله تعالى: ((قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا)) [١٣١] فقد وردَ قوله تعالى من قبل الملك جبريل (عليه السلام) إلى السيدة مريم (عليها السلام) ، فعندما كانَتْ منفردة وبينها وبين قومها حجاب كانت مطمئنة إلى انفرادها ، ولكنها تفاجأت مفاجأة عنيفة أن رأتْ رجلا مكتملاً سوياً قد تمثَّلَ أمامها وهي في هذه العزلة حيث يقولُ سبحانه:((فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا))[١٣٢] فخافته وظنته أنه يريدُ بها سوءا لنفسه وها هي تنتفضُ انتفاضة العذراء المذعورة، فتلجأ إلى الله تستغيثُ وتستنجدُ وفي الوقت نفسه تستثيرُ مشاعرَ التقوى في نفس الرجل، وتنبه على الخوف من الله والتحرج من رقابته في هذا المكان الخالي ، وبعد أن استعاذتْ بالرحمن منه لأنَّ التقيَّ ينتفضُ وجدانُه عند ذكر الرحمن ، ويرجعُ عن دفعة الشهوة ونزع الشيطان ، رأى جبريلُ منها الروعَ عرَّف نفسه إليها بما سكّن روعها وقرن مقالته بالتبشير لها بعيسى (عليه السلام)فقال لها : ((قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ)) لقد كانت هذه الجملة كالماء البارد الذي يلقى على النار[١٣٣] .

والذي نلاحظه في هذه الآية الشريفة ّ أنَّ الجملةَ الاسمية فيها قد وردت مسبوقة بأسلوب القصر إذ قال: ((إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ)) وقد أشار أحدُ الباحثين المحدثين إلى أنَّ أسلوب القصر في الجمل الخبرية قد يدل على أسلوب إنشائي بقوله : ((ويصنف القصر على أنه أحد وسائل الأخبار فهو أسلوب إخباري المعنى والمبنى على الأصل الذي وضع له ابتداء في التخاطب اللغوي بيد أنه قد يتحول عن دلالة الأصل إلى دلالة جديدة وهي الدلالة الإنشائية (أمرا كان أو نهيا) مع ثبات مبناه في الخطاب))[١٣٤] وتأسيسا على هذا نجد أنَّ القصرَ في هذه الآية قد أفاد معنى النهي فقد قصر الرسالة على نفسه من دون أي غرض آخر فكأنَّ مقولتَه كانتْ بمعنى لا تخافي ولا تحزني؛ لذا جاء بأسلوب القصر ليثبت لها بأنَّه رسولُ ربها لا غير؛ لهذا لا تخافي مني مطلقا؛ وجاء المسند مضافا إلى كلمة (ربك) دون غيرها لتحقيق دلالة الاطمئنان وهذا يتفق مع القول بأنَّ عبارتَه تفيد دلالة النهي عن خوفها وتهدئة نفسها فعبر باسم الرب لأنَّه مأخوذٌ من الربوبية التي تفيد الرعاية والتنشئة والسند، المقتضي للاحسان لطفا بها، من هنا نفهم أنَّ مقولة جبرائيل باستعمال الجملة الاسمية إنما كانت منصبة على إبانة معنى النهي لأنه قد رآها خائفة مذعورة فأراد أن يبعد عنها هذا الرهاب فجاد بعبارته بانيا إياها على القصر لنهي الخوف من نفسها وانتهائه تماما ما دامت قد علمت بأنه رسولٌ من ربها فهذا الأمر يطمئنها ولا يدعوها إلى الخوف البته، ولعل صياغةَ عبارته على الاسمية دون أن يأمرها بالنهي مباشرة - فيقول لها مثلا (لا تخافي)- قد جاء لغاية مضمونية تكمن في أنّ الاسمية أثبت في إقرار المعنى في نفس المتلقي من الفعلية فضلا عن أنَّ إخباره إياها بأنه رسولُ الله يزيحُ عنها كلَّ همٍّ وغمٍّ لأنها فهمت أنَّ هذا المرسلَ هو من عند الله تعالى خالقها وخالقُ الكونِ بأسره

في خوف والحال هذه، يزاد على هذا أنَّ قولَه لها (لا تخافي فانا رسول ربك) لا يعدُّ من الزيادة في شيء لأنَّ عبارتَه (إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ)) دالة في مضمونها على معنى لا تخافي، بهذا استغنى بهذه المقالة عن التكثير الذي لا طائلَ منه وخير الكلام ما قل ودل.

ثم بين المهمة التي أُرسِلَ بها وهي ((لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا)) فهنا ابتدأ الملك المرسل بتعريف الغاية التي جاء من أجلها للسيدة العذراء ؛ إذ استعمل لام التعليل في قوله (لِأَهَبَ لَكِ) ؛ وذلك ليزيل ذلك الخوف عن قلبها تماما ثم بيانه لهذه المهمة، فأراد الملك من السيدة مريم (عليها السلام) أن تستوعبَ ذلك الموقفَ ولا تخف ولا تحزن لذا ابتدأ الكلام بضمير المتكلم (أنا) للتعريف عن نفسه فتطمئن له ثم أورد المسند اسما مشتقا على وزن (فعول) فقال (رسول) صيغة مبالغة لاتصاف الذات بالحدث [١٣٥] ؛ ليتحقق لديها مضمون إرساله من خلقها فلا تذعر ثم بناء الجملة على الاسمية عموما حقق لها ثبات هذا المعنى ورسوخه في نفسها، ولو نهاها ابتداء لازدادت خوفا لهذا تطلب أن يعرفها بنفسه سريعا حتى يزيل خوفها وفي الوقت نفسه ينهاها عن الخوف بمعرفته، فكانت عبارته أروع ما كان.

الفرع الثالث : أثر تحول بناء الجملة الفعلية إلى معنى الأمر:

إذا كانتْ الجملةُ الخبرية الاسمية تدل على معنى الانشاء فإنَّ الجملة الخبرية الفعلية لا تقل كفاءةً في دلالتها على معنى إنشاء في سياقات النص القرآني عموما وفي سورة مريم (عليها السلام) خصوصا ومن جنس الجمل الفعلية الدالة عل معنى الأمر في سورة مريم هو قوله تعالى ((وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا)) [١٣٦] فقد وردت هذه الآيةُ في سياق ردِّ الرضيع(عيسى) على قومه حينما جاءت أمه تحمله إليهم،

فبعد أن أشارت السيدة مريم إلى قومها بتكليم الرضيع (عيسى) في المهد؛ بدأ نبي الله عيسى (عليه السلام) يتحدث عن صفته المستقبلية ، فيما يريد الله له أن يمارسه من فعل، أو يقوم به من مسؤولية.

من هنا نتلمس دلالة الأمر في الآية بصيغة الفعل الماضي (أوصى) في قوله: ((وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا)) إذ المراد صلوا وزكوا؛ فهو لم يأتِ بالدلالة التي يريدها على صيغة فعل الأمر (أدّوا) أو ما يناظرها؛ بل ساقه على سبيل الاخبار ليشعر قومه أنهم مطالبون بهذ أيضا لأنه أخبرهم ابتداء بأنه نبي أرسله الله إليهم وذلك في قوله :((قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيّاً)) (١٣٧) فإذا كان كذلك كان التكليف العبادي الذي يقع عليه لابدَّ من أن يقع على قومه لأنّ هذه هي مشيئة السماء فالصلاة والزكاة إذا ما أدَّاها نبيهم فإنَّ قومَه يؤدونها أيضا لأنَّ نبيَّهم مكلفٌ بها إذن هم مكلفون بها أيضا.

وقد أشار المفسرون إلى أنَّ دلالةَ الفعلِ الماضي (أوصى) في هذه الآية هي الأمر المؤكد فالله قد أمر نبيّه عيسى أمرا مؤكدا القيامَ بحقوقه التي من أعظمها الصلاة وحقوق عباده التي أجلها الزكاة، والظاهرُ أنَّ الفعلَ (أوصى) يكون في الأمور المادية كقوله تعالى :((يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ)) (١٣٨) على خلاف الفعل (وصَّى) فإنه يكون في الشؤون (المعنوية) حيث ((يرتبط الفعل (وصّى) في السياق القرآني بالأمور الاجتماعية التي تقوم بوظيفة التواصل بين الناس ونلمس فيه شيئا من الرحمة والحرص على الموصى به))(١٣٩) كقوله ((وَوَصَّيْنَا الْأِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْناً وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُمَا إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ))(١٤٠) .

ولابدَّ من القول بأنَّ دلالةَ الفعلِ الماضي (أوصى) في الآية الكريمة من حيث الزمن هي مطلقة؛ إذ إنَّ الأمرَ بالصلاة والزكاة مطلقٌ من الزمن لأنه فعلٌ عباديٌّ مطلوبٌ في كل الأزمنة والأوقات من دون استثناء؛ من هنا لا يمكن أن نقتصر الفعل على الزمن الماضي فحسب وإن كان هذا المعنى هو المتبادر إلى فكر المتلقي في بادئ الأمر بناء على صيغته الماضية، أما ما يسند كون هذا الفعل مطلقا من الزمن فهو إسناده إلى الله تعالى فهذا الإسنادُ يعطي الفعل صفة الطلاق من ناحية الزمن لأنَّ كلَّ الأفعالِ المتعلقة بصفات الله تعالى وبإرادته تكتسب صفة الإطلاق من ناحية الزمن وإن كان محددا بزمن معين من ناحية الصياغة الصرفية وكذلك الأفعال المتعلقة بصفات المؤمنين أو المشركين؛ بهذا نصل إلى أنَّ الجملةَ الفعلية هاهنا دلت على معنى الأمر وهي مفرغة من الزمن لأنها تعبر عن فعلٍ عباديٍّ مطلوبٍ استمرارُ حدوثِه في كلِّ الأزمانِ فضلا عن نسبة الفعل إلى الله تعالى، ولعل مجيء دلالة الأمر على بناء الجملة الفعلية فيه دلالة على أنَّ هذه العبادات إنما هي أفعال تصدر من المرء مطلقة من الزمن مستمرة الحدوث فضلا عن وجوب أدائها.

الفرع الرابع : أثر تحول بناء الجملة الاسمية المنسوخة إلى دلالة الاستفهام:

إذا ما أنعمنا النظر في سياقات سورة مريم (عليها السلام) فإننا سنقف على جملة اسمية منسوخة قد خرجت من معنى الإخبار لتدل على معنى الاستفهام الانشائي، وهذا يدل على أن الجمل الاسمية لا تدل على مضمون الانشاء في حال تجردها من الناسخ فقط؛ بل يتحول بناؤها الاسمي إلى الدلالة على معنى الانشاء حتى في حال لو سبقها ناسخ وذلك بيِّنٌ في قوله تعالى: ((يا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا)) (١٤١)

فحينما أقبلتْ مريمُ (عليها السلام) تحملُ طفلها دُهِشَ قومُها ، وما أعظم تلك الدهشة التي كانتْ تعلو وجوه قومها وهم يرون ابنتهم الطاهرة العذراء الموهوبة لبيت العبادة المنقطعة لتلك العبادة يرونها تحمل طفلا؛ لهذا انطلقت ألسنتهم بالتقريع والتأنيب ثم يتحول السخط لديهم إلى تهكم مرير بقولهم : ((يا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا)) والظاهر أنَّ في مقولتهم هذه تحولا دلاليا من الإخبار إلى الإنشاء إذ نجد في طيات مقولات التفسير أنَّ دلالة الجملة الخبرية ((مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا)) هي الاستفهام فالمعنى بحسب ما وجهه المفسرون هو: يا شبيهة هارون أنت من بيت طاهر معروف بالصلاح ولم يكن أبواك إلا صالحين ولم يكونا فاجرين،فما هذا الوضع الذي نراك عليه، فأي سوء ارتكبت في سلوك الأب، وخلق الأم حتى تحيدي عن هذا الطريق؟ فمن أين لك هذا الولد ؟ (١٤٢) ، وبهذا تكون الجملتان الاسميتان المنسوختان بـ (كان) في الأولى وبـ (كانت) في الثانية في قوله: ((مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا))هما جملتين تدلان على معنى الاستفهام المخلوط بالتعجب والله أعلمُ

المطلب الثاني : أثر تحول بناء الجملة الإنشائية إلى معنى الاخبار:

الفرع الأول: أثر تحول بناء جملة الاستفهام إلى معنى الخبر المنفي :

إذا كانتْ الجملُ الاخبارية تنتجُ دلالة الانشاء على الرغم من بنائها الاخبار؛ فانه يمكن القول بأنَّ الجملَ الانشائية قد تدلُّ على الاخبار على الرغم من بنائها الانشائي؛ إذ وردَتْ في سورة مريم (عليها السلام) خاصة وفي سياقات التعبير القرآني عامة؛ جمل إنشائية تدل على الخبر بناء على مقولة التحول الدلالي بين الانشاء والخبر، والذي يعينُ على معرفة ذلك كله هي قرائنُ السياق التي تحفُّ بتلك الجمل فلولا هذه القرائنُ لما عُلِمَ بأنّ هذا البناءَ

الانشائي فيه معنى إخباري وان المبتغى منه في حقيقة الأمر هو الاخبار لا الإنشاء، ومن جنس ذلك الجملة الانشائية قوله تعالى : ((رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا)) (١٤٣)

فإننا نقفُ على قوله تعالى ((هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا)) وهي جملة إنشائية استفهامية بدلالة تقدم حرف الاستفهام (هل) في بداية الجملة، وهذا الاستفهام موجه إلى رسوله الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم) والمعنى هل تعلمُ يا محمدُ للربِّ سبحانه (سميّا) غير أنَّ هذا الاستفهامَ لا يرادُ منه معرفة الجواب حقيقة؛ بل خرجَ هذا البناءُ الانشائي للدلالة على الاخبار؛ ذلك بأنَّ المرادَ الدلالي منه هو الإنكار (النفي)؛ أي لا تعلمُ له سميا؛ فمعنى ((هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا)) هو لا تعلم مماثلا لله في صفة الخالقية والقدرة، فإنَّ الأممَ والفرقَ مع غلوهم بالمكابرة لم يسموا وثنا من أصنامهم أو شيئا بـ(اللام) وإنما يقولون للواحد منها إله، فهو يقرون له ضمنا و يعترفون بأنه خالقهم كما تنص الآية الكريمة : ((وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ)) (١٤٤) ؛ ومن كان كذلك وجبت عبادته ،فتلتف إليه وتقبل بوجهك نحوه ، فيفيض عليك مطلوبك ، فتعالى الله عن السمي والنظير(١٤٥) .

وبهذا البناء الإنشائي تثبتُ الآية شيئا لا يمكنُ تحقيقه وهو وجود سمي لله سبحانه وتعالى والعياذ بالله من ذلك، إذ من المحال تحقيقُ هذا السمي له سبحانه؛ لهذا جاءتْ الجملة على بناء الاستفهام وهي تدلُّ على النفي لإثارة انتباه المتلقي وإشراكه في تقرير المضمون الإخباري الذي تضمنته الجملة الانشائية فيقول (أي والله ليس لك سمي يا رب)، أما إذا كان التعبيرُ مباشرة على هيئة الاخبار فيقول (لا تعلم له سميا) فإنَّ عاملَ الإثارة وشدِّ الذهن لمتلقي سيختفي من النصِّ وبهذا يغدو المتلقي متلقيا لمضمون الكلام فحسب

من دون أن يشاركَ في إقراره واثبات أحقيته؛ لذا سيق الخبر المنفي على الاستفهام لتحقيق هذا الغرض، من هنا نجد ((إن سمو النص القرآني على النصوص الخطابية الأخرى سواء السماوية السابقة عليه أم تلك التي أنتجها الإبداع البشري متأت من الخصوصيات التعبيرية للقران نفسه ونقصد بالخصوصيات الطريقة التي يعهدها المتلقي في النص القرآني حينما يريد ذلك النص التعبير عن دلالة معينة فهو تارة يمارس الأسلوب الصريح لإنتاج الدلالة بأروع صورة بنائية وتارة أخرى يعمد إلى إظهار الدلالة باسلوب مغاير لما هو سائد في الأوساط الخطابية فيفهم المتلقي تلك الدلالة المعبر عنها بغير أسلوبها الصريح مع انبهاره بالحيثية التي توسلها النص المقدس لإبداع تلك الدلالة يزاد على هذا أنَّ توظيفَ المعنى باسلوب مغاير لأصله الأسلوبي سيتبعه ملحقات مضمونية لا تدرك فيما لو ظهر ذلك المعنى بأصله الأسلوبي الأول من هنا كانت للتعبير القرآني خصوصيات فاقت كل تعبير دونه))[١٤٦] وكلٌ تعبير دونه.

الفرع الثاني: أثر تحول بناء جملة الأمر إلى معنى الخبر المثبت :

إذا كانت الجملة الإنشائية قد وردت في سياق سورة مريم(عليها السلام) فدلَّتْ على الخبر المنفي فإنها قد سيقت في موضع آخر للدلالة على الخبر المثبت؛ إذ صيغت جملة الأمر لتحقيق هذا المغزى وذلك في قوله تعالى: ((قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا حَتَّى إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضْعَفُ جُنْدًا)) [١٤٧].

فنعد النظر في النص نجد أنَّ الجملة الانشائية وهي (فَلْيَمْدُدْ) قد صيغت على هيئة الأمر لأنها جملة فعلية مسبوقة بـ(لام الأمر) مقترنة بالفاء، وقد اتفق النحاة على أنَّ هذه اللامَ تدل على الأمر إذا كان الفعل الذي يليها على سبيل

الاستعلاء، أما إذا كان الفعل الموالي لها قد جاء على سبيل الخضوع فهي تفيد الدعاء [١٤٨] ، وهي في كلا الأمرين دالة على الطلب؛ وبهذا تكون الجملة إنشائية مطلقا.

أما الأثر التركيبي لـ(لام الأمر) في النص الكريم فهو الجزم إذ أصبح الفعلُ المضارعُ (يَمْدُدْ) في الآية الكريمة مجزوما وعلامة جزمه السكون بعد أن كان مرفوعا، وقد علل النحويون سبب عمل لام الأمر الجزم بقولهم : ((وجب أن تعمل لام الأمر الجزم لاشتراك الأمر باللام وبغير اللام في المعنى فوجب أن تعمل اللام الجزم ليكون الأمر باللام مثل الأمر بغير اللام في اللفظ وإن كان أحدهما جزما والآخر وقفا)) [١٤٩] .

من هنا نجد أنَّ موضعَ الشاهدِ في هذه الآية هو قوله تعالى ((فَلْيَمْدُد))وهي جملة أمرية لأنها متألفةٌ من الفعل المضارع الذي سبق باللام ويمكن تلمس الأثر الدلالي لهذه اللام بأنَّ الفعلَ سيقع في المستقبل وهذا ما أشار إليه النحاة [١٥٠] ؛ غير أنَّ دلالة الأمر غير مراده في هذه الجملة؛ بل المراد هو الاخبار المثبت من أنَّ اللهَ تعالى سيمدُّ للضال مدا حتى يزداد في غيه وضلالة فيحق عليه العذاب، وإنما صاغه الله تعالى مضمون الخبر على صيغة أمر للدلالة على وجوب حدوث هذا الأمر فكأنه يلزم نفسه بذلك.

ولقد وقع خلافٌ بين المفسرين في تحديد موضع حدوث فعل (المد) فمن رأى أنَّ المدَ وهو العذاب يمكنُ أن يكونَ في الدنيا أو في الآخرة [١٥١] ، ولا نتفقُ معهم في هذا؛ ذلك بأنَّ المدَّ إنما يقعُ في الدنيا حصرا فبعد أن يضل الشخص يمدُّ له اللهُ في المستقبل ليختبرَه ويعاقبَه على أساس تماديه وغيِّه؛ يقولُ الزمخشري: ((مدّ له الرحمان يعني أمهله وأملى له في العمر فأخرج على لفظ الأمر إيذاناً بوجوب ذلك وأنه مفعول لا محالةَ كالمأمور به الممتثل لتقطع معاذير

الضال))[١٥٢]، ويبدو أنَّ ما دفعَ هؤلاءِ المفسرين إلى القول بأنَّ هذا المدَ إنما يقع في الدنيا والآخرة هو إنهم فسروا المد بمعنى (العذاب)؛ والمد ليس العذاب بل هو مظنة العذاب لأنَّ العذابَ يحدث بسببه؛ من هنا يكون المد في الدنيا فقط وليس في الآخرة والدليل على ذلك هو قوله تعالى :((حَتَّى إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ)) فالعذاب يحدث في الدنيا والساعة تحدث في الآخرة ويعني ذلك أنَّ المدَ يقعُ في الدنيا فحسب؛ ولو انه كان يقع في الآخرة أيضا لما استعمل سبحانه حرف المعنى (حتى) الذي يفيد انتهاء الغاية أي بعد المد يكون أما عذاب في الدنيا وأما حضور الساعة للحساب في الآخرة، لو أراد سبحانه بلفظة (المد) العذاب كما حسب بعض المفسرين لما قال (إِمَّا الْعَذَابَ) ذلك بأنَّ العذابَ قد وقع عليه أصالة بالمد والأمر ليس كذلك.

من هنا نجد أنَّ اللهَ تعالى استعمل جملة الأمر ((فَلْيَمْدُدْ)) للدلالة على الخبر المثبت أي بأنه سيمدد له لا محالة إذ وردت جملة الأمر هنا للإيذان–كما يرى الزمخشري- بأنَّ هذا الأمرَ واجبُ الأداء وأنه كالمأمور به الممتثل بقدرة الله تعالى فـ ((هو أمر في معنى الخبر))[١٥٣] حتى لا يبقى للضال من عذر يعتذر به أمام الله تعالى فيحق عليه العذاب وقد تنبه الرازي إلى هذا التحول الدلالي في جملة الأمر وعليه أصدر مقولته وهو في صد تفسيره لهذه الآية حيث قال : ((واعلم أن الخبر والأمر يتقاربان فيحسن إقامة كل واحد منهما مقام الآخر))[١٥٤] ؛ بهذا تكون جملة (فَلْيَمْدُدْ) واردةً بصيغة الأمرِ غير أنَّ معناه الخبر عن سنة الله في الضالين؛ فالمعنى من كان في الضلالة مده الرحمن مدا حتى يطول اغتراره، فيكون ذلك أشد لعقابه[١٥٥] ؛ من هنا نفهم بأنَّ جملة الأمر هذه إنما سيقت لإثبات مضمون المد للضال فهو في حقيقته إخبار من أجل تقرير الحجة على الضال وإناطة العذاب به بلا رجعة.

وقد علل بعضُ المفسرين سببَ ورودِ الخبرِ بصيغة الإنشاء بقولهم :((إنما ذكر بلفظ الأمر ليكون آكد كأنه ألزم نفسه إلزاما كما يقول القائل : أمر نفسي أمرا ويقول من زارني فلأكرمه فيكون ألزم من قوله أكرمه))[١٥٦] فإخراج الخبر بصيغة الأمر إيذانا له بوجوب ذلك وانه مفعول لا محالة[١٥٧]، فليعش ما شاء ، وليوسع لنفسه في العمر ، فمصيره إلى الموت والعقاب ،وهذا غاية في التهديد والوعيد [١٥٨] ، ولو ورد المعنى المبتغى على هيئة الإخبار مباشرة فقال سبحانه : (سنمد له مدا)؛ لما أفاد كل هذه الدلالات والتي من أجلها دلالة إثبات تحقق مضمون الفعل على سبيل الإلزام ودلالة إقامة الحجة وإلزامها لصاحبها بلا هوادة أو سعة في إصدار حكم العذاب عليه.

بهذا نصل إلى أنَّ استعمالَ بناءِ الجملةِ الإخبارية للدلالة على معنى الانشاء وأنَّ استعمالَ الجملة الانشائية لإنتاج معنى الإخبار إنما ورد في سورة مريم (عليها السلام) خاصة والتعبير القرآني عامة لتحقيق دلالات إضافية ليس لها أن تحدث فيما لو سيق المعنى موافقا لبنائه أي ان جملة الخبر تنتج الخبر وان معنى الانشاء تنتجه جملة الانشاء نفسها، لذا ورد التحول الدلالي لإيجاد معان لا تستفاد بإنتاج المعنى بالبناء الجملي المخصص له نفسه، ولابدَّ هنا من أن نذكر بأنّ خصوصية بناء الجملة سواء كانت خبرية أم إنشائية لا يغادر الجملة تماما فالجملة الخبرية وإن دلت على الانشاء فإنها تدل على ملمح من الاخبار وإنّ الجملة الانشائية وإن أعطت معنى إخبار فإنها تدل على معنى الانشاء أيضا وإن كان بصورة طفيفة وقد تبنه إلى هذا أحد الباحثين المحدثين حيث قال ((ذهب المفسرون إلى أن تسييق الخبر بوساطة الانشاء أقوى من التعبير باسلوب الخبر الصريح وان تسييق الانشاء بوساطة الخبر أقوى من استعمال الانشاء مباشرة، وقد ذكرنا سابقا أننا نميل إلى هذا القول، ولكن

ليس على إطلاقه ، وإلا لكان أحرى بنا أن نعكس الاستعمالين فنعبر بكل منهما عن الآخر، والواقع أن هذا الأسلوب أو ذاك أقوى من نظيره العكسي بلحاظ السياق الذي يرد فيه؛ إذ إن اقتضاء الدلالة هي الفيصل في تحديد الاستعمال ،من هنا لا يمكننا أن نعاملَ هذين الأسلوبين معاملة المترادفات؛ لما بينهما من بون شاسع صياغة ومحتوى .وإن كان لابدَّ من التناوب بينهما فبلحاظ الدواعي الاستعمالية من جهة ،فضلا عن أنهما كما ذكرنا سابقا لا يتخليان عن خصائصهما الأسلوبية تخليا تاما ولا تنتزع دلالتهما الأصل انتزاعا تاما من جهة أخرى، بل يبقى الأسلوب محافظا على سمته الدلالية الأصل التي وضع لها، مضافا إليه دلالات أخر بحسب ما يقتضيه السياق))[١٥٩] وهذا ما نتفق معه تماما.

الخـاتمـة

بعد المسيرة الطويلة والمضنية في بطون المدونات النحوية والتنقيب في المصنفات التفسيرية والخوض في المعجمات العربية؛ استطاع الباحث –بفضل من الله تعالى – ان يتوصل الى جملة من الثمرات والنتائج التي يمكن ان يودعها في هذه الخاتمة للافادة منها وهي ايجاز على النحو الاتي:

١- وجد الباحث من خلال دراسة بناء الجملة الانشائية في سورة مريم موازنتها بالاخبارية؛ بأنّ الجملة الخبرية غالبا ما تخاطب العقل لأن طبيعة العقل تغليب الأمور والموازنة والتشكك ، أما الإنشائية فتأتي غالبا لمخاطبة العاطفة والانفعال لذلك فهي تكثر في المواقف التي تقتضي التحريض أو التحضيض، وما إلى ذلك من أمور.

٢- وجد الباحث بان ورود (ما) بعد (اذا) تفيد دلالة التوكيد وهي ليست زائدة كما حسب بعض النحاة .

٣- وجد الباحث ان الاستفهام بـ (انى) لم يرد في سورة مريم إلا للسؤال عن الامور المستحيلة التحقق؛ ذلك بان الحال الذي سألت فيه مريم بـ(أنى) عن ولادة عيسى وهي غير ذات بعل ، يشبه الحال الذي سأل فيه زكريا الله تعالى بـ (أنى) في مسألة ولادة يحيى علما ان زكريا كان شيخا كبيرا وزوجه عاقرا فكلا الامرين يدخل في نطاق المحال، من هنا نفهم ان السؤال بـ (أنى) في سورة مريم قد ورد حقيقا وهو مسلط على الامور المستحيلة الحدوث او المتعجب من حدوثها فقط، وهذا يعطي خصوصية معينة للسؤال بـ (أنى) عن سائر اخواتها من اسماء الاستفهام، ذلك بان اغلب ادوات الاستفهام التي وردت في سورة مريم كان الاستفهام بها غير حقيقي.

٢٤- وجد الباحث ان بعض المقولات التفسيرية لا تنسجم ودلالة بناء الجملة التي يتحدث عنها المفسر؛ لهذا آل الباحث على نفسه ان ينتقد تلك المقولات ويوجهها بما يوافق قرائن السياق التي تسهم في صيرورة دلالة الجملة والكشف عنها؛ ويبدو ان هذا النقد يعد احد ثمرات هذه الدراسة ومن الله الحمد.

ملخص البحث

يسعى الباحث إلى إظهار القدرة الإعجازية للخطاب القرآني في بناء الجملة الإنشائية في سياق سورة مريم , والتغيرات التي تطرأ على هذا البناء ومدى قدرة النص على الإبداع الدلالي والإنتاج المضموني الدقيق للمتلقي وتأسيسا على هذا المنطلق ظهرت هذه الدراسة اللسانية.

Abstract

Researcher seeks show to show the miraculous power of the Quranic syntax construction in the context of Sura maryam and the changes that occur to this building and the ability of the text on semantic creativity and production substantive flour for the recipient and based on this premise appeared linguistic study

هوامش البحث

(١) الفراهيدي: العين:٦/٢٨٨ ، والأزهري: تهذيب اللغة:١١/٢٨٦- ٢٨٨، و ابن منظور : لسان العرب
١/١٧٠- ١٧٢ ,

(٢) ينظر: الأزهري: تهذيب اللغة:١١/٢٨٦-٢٨٨ ، وابن دريد : جمهرة اللغة : ٢/٤٩٥ ، وابن منظور :
لسان العرب ١/١٧٠- ١٧٢

(٣) ينظر: ابن منظور : لسان العرب ١/١٧٠.

(٤) أبو هلال العسكري : الفروق في اللغة : ١٢٧

(٥) الجرجاني: المقتصد في شرح الإيضاح : ١/٦٨.

(٦) عبد الرحمن حسن جنكة الميداني: البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها : ١٢٥ .

(٧) مهدي المخزومي : في النحو العربي : ١٦٣

(٨) القزويني : الإيضاح في علوم البلاغة : ١٣٠ ، و السكاكي : مفتاح العلوم : ٣٠٢

(٩) ينظر: وابن هشام : شرح شذور الذهب : ١/٢٤، ٢٧ والسيوطي : همع الهوامع :١/٣٠ والفاكهي :
شرح الحدود في النحو :١٠١ وعبد الله الفوزان : دليل السالك إلى ألفية ابن مالك : ١/٣٥ والمالكي :

شرح كتاب الحدود للآبدي :٤٤ ، والأب لويس شيخو : نزهة الطرف في مختصر الصرف: ٢٣

(١٠) ابن يعيش : شرح المفصل :٥٨/٧ وينظر: الرضي: شرح الرضي على الكافية :١٢٤/٤

(١١) ينظر: ابن الانباري: الإنصاف في مسائل الخلاف: ٢٧٣-٢٧٤.

(١٢) ابن يعيش: شرح المفصل: ٥٨/٧ وينظر: ابن الحاجب: الكافية في النحو: ٢٦٧/٢، وابن الانباري:
الإنصاف في مسائل الخلاف: ٢٧٧-٢٧٨.

(١٣) سورة مريم: ١٢.

(١٤) ينظر: الرازي: مفاتيح الغيب: ١٦٣/١١.

(١٥) سورة الجاثية : ١٦

(١٦) ينظر: ابن عاشور :التحرير والتنوير :٧٥/١٦ , و الشنقيطي :أضواء البيان : ٤/ ١٧٣ , والآلوسي :
روح المعاني :٣٩١/١٦/٦ , والبيضاوي :أنوار التنزيل :٢٨/٢ , وأبو حيان الأندلسي : البحر المحيط :
١٦٧/٦ والسمرقندي: بحر العلوم : ٣٢٠/٢ , والفيض الكاشاني : الصافي:٥٤٨/٤ , والشيرازي :
الأمثل: ٢٦٨/٩

(١٧) الرازي: مفاتيح الغيب: ١٦٣/٢١.

(١٨) م.ن : ١٦٣/٢١.

(١٩) ينظر: السمرقندي: بحر العلوم :٣٢٠/٢ والبيضاوي :أنوار التنزيل ٢٨/٢, وابن عجيبة: البحر المديد : ٢١٣/٤ , والآلوسي : روح المعاني :٣٩١/٦ , والشيرازي: الأمثل : ٢٦٨/٩ ابن عاشور : التحرير والتنوير :٧٥/١٦ , :٢/, والفيض الكاشاني : الصافي في تفسير القرآن :٥٤٨/٤ ، ومغنية : الكاشف : ١٧٢/٥ .

(٢٠) ينظر: محمد حسين فضل الله : من وحي القرآن : ٢٣/١٥

(٢١) ينظر: الرازي: مفاتيح الغيب: ١٦٣/٢١، والثعلبي: الكشف والبيان في تفسير القرآن : ١٦٩/٤ والعجيلي:

الفتوحات الإلهية : ٩/٥ والقشيري : لطائف الإشارات : ٢٣٧/٢

(٢٢) ينظر: محمد عامر: (دلالات الفعل أخذ في القرآن الكريم)، (بحث منشور) في مجلة ن والقلم:العدد ١٢/

صفحة ١٢٦السنة الرابعة جمادى الآخرة ١٤٢٨هـ- حزيران/ ٢٠٠٨:

(٢٣) ينظر: العجيلي : الفتوحات الإلهية : ٩/٥

(٢٤) سورة مريم: ١٠- ١١.

(٢٥) ينظر: الزمخشري: الكشاف:٩/٣ , ومغنية: الكاشف: ١٧٠/٥

(٢٦) ينظر: الطوسي:التيبان : ١١٠/٧

(٢٧) سورة مريم: ١٠

(٢٨) ينظر: الرازي: مفاتيح الغيب: ٢١/ ١٦٢

(٢٩) سيروان عبد الزهرة الجنابي : الإجمال والتفصيل في التعبير القرآني: ١٩٣- ١٩٤.

(٣٠) سورة مريم: ٢٤- ٢٦.

(٣١) الزمخشري: الكشاف: ١٣/٥.

(٣٢) ينظر: الشنقيطي: أضواء البيان: ٣٩٧/٣.

(٣٣) م.ن: ٣٩٧/٣.

(٣٤) م.ن: ٣٩٧/٣.

(٣٥) سورة مريم: ٣٦.

(٣٦) سورة مريم: ٣٠.

(٣٧) ينظر: القزويني : التلخيص في علوم البلاغة : ١٧٠ , و البابرتي :شرح التلخيص ٣٦٤:

(٣٨) الجرجاني : التعريفات :٣١٦

(٣٩) سورة مريم: ٤.

(٤٠) سورة مريم: ٤٣.

(٤١) ينظر: ابن عاشور : التحرير والتنوير: ١٦/١٦.

(٤٢) ينظر: أبو السعود : إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم :٢٤٣/٤ , والفيض الكاشاني : ٥١٦/١٤ , و الشوكاني : فتح القدير : ٤١٥/٣ , و ابن عاشور : التحرير والتنوير: ١٦/١٦ , الصافي : ومحمد الأمين الشافعي : حدائق الروح والريحان: ١٤٩/١٧ .

(٤٣) ينظر: ابن عاشور : التحرير والتنوير: ١٦/١٦.

(٤٤) ينظر: عبد الرحمن حسن حنكة الميداني : البلاغة العربية أسسها وفنونها :٢٦١/١

(٤٥) ينظر: ابن يعيش : شرح المفصل :١٥٠/٨ , وابن فارس : الصاحبي في فقه اللغة :١٨١

(٤٦) ينظر: صالح الظالمي : تطور دراسة الجملة العربية بين النحويين والأصوليين : ١٢١

(٤٧) ينظر: القزويني : التلخيص في علوم البلاغة : ١٥٣ - ١٥٤ , وابن الناظم المصباح في المعاني والبيان والبديع: ٨٤ - ٨٥ , وعبد الرحمن حسن حنكة الميداني : البلاغة العربية أسسها وفنونها :٢٦١/١ - ٢٦٣, والسيوطي : الأشباه والنظائر :٧١/٤ , و البابرتي : شرح التلخيص :٣٤٦ - ٣٤٧ وأحمد الهاشمي : جواهر البلاغة : ٧٩ - ٨٠ , ورجاء عيد : فلسفة البلاغة بين التقنية والتطور: ١٢٢

(٤٨) ينظر: القزويني : التلخيص في علوم البلاغة : ١٥٣ - ١٥٤ , وابن الناظم المصباح في المعاني والبيان والبديع: ٨٤ - ٨٥ , وعبد الرحمن حسن حنكة الميداني : البلاغة العربية أسسها وفنونها :٢٦١/١ - ٢٦٣, والسيوطي : الأشباه والنظائر :٧١/٤ , و البابرتي : شرح التلخيص :٣٤٦ - ٣٤٧ وأحمد الهاشمي : جواهر البلاغة : ٧٩ - ٨٠ , ورجاء عيد : فلسفة البلاغة بين التقنية والتطور: ١٢٢

(٤٩) سورة مريم: ٧٧- ٧٩.

(٥٠) ينظر: البخاري: صحيح البخاري: ٧٣٦/٢ ، ومسلم: صحيح مسلم: ٢١٥٣/٤، والشوكاني: فتح القدير: ٤٩٩/٣.

(٥١) ينظر: السمرقندي: بحر العلوم: ٣٣١/٢- ٣٣٢ , والرازي : مفاتح الغيب :٢٤٩/١١, وابن عادل: اللباب: ٧٥/١٣ , ابن عاشور : التحرير والتنوير :١٥٨/١٦, ومحمد حسين فضل الله : من وحي القرآن :٧٤/١٥ , ومحمد تقي المدرسي :من هدى القرآن :١٦٣/٥ , والعجيلي : الفتوحات الإلهية : ٥/ ٤٤

(٥٢) ينظر: ابن عاشور : التحرير والتنوير :١٥٩/١٦ , ومحمد عبد السلام: إرشادات الحيران: ٤٣١/٧

(٥٣) ينظر: ابن عاشور : التحرير والتنوير: ١٥٩/١٦

(٥٤) ابن الناظم : المصباح في المصباح في المعاني والبيان والبديع: ٨٥ , وينظر: أحمد الهاشمي : جواهر
البلاغة : ٨٣

(٥٥) سورة مريم: ٦٥.

(٥٦) ينظر: ابن عاشور : التحرير والتنوير :١٤٢/١٦

(٥٧) ينظر:ابن عباس : تنوير المقباس: ٣٢٥ , و النحاس : معاني القرآن : ٤ /٣٤٥ , والزجاج معاني القرآن وإعرابه : ١٦٥/٣ , وأبو حيان الأندلسي : البحر المحيط: ١٩٩/٦ , وأبو السعود : إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم: ٢٥٠/٤ , و الشوكاني : فتح القدير :٤٢٤/٣ والآلوسي : روح المعاني:٤٣٢/٦ ابن عاشور :التحرير والتنوير :١٤٣/١٦ , ومحمد الأمين الشافعي : حدائق الروح والريحان: ١٨٧/١٧

(٥٨) سورة مريم : ٧

(٥٩) سورة لقمان : آية :٢٥

(٦٠) ينظر: ابن عاشور : ينظر التحرير والتنوير : ١٤٤/١٦- ١٤٦ , والشوكاني: فتح القدير : ٤٢٤/٣

(٦١) ينظر: السبكي:عروس الأفراح :١/ ٥٢٥ , وأحمد الهاشمي : جواهر البلاغة : ٨٠ , ومحرم أفندي :
مطول على التلخيص : ٢٢٩ ومحمود سليمان ياقوت : إعراب القرآن الكريم :٢٨٤٤/٦

(٦٢) سورة مريم: ٩٨.

(٦٣) ينظر: السمرقندي : بحر العلوم: ٣٣٤/٢ , وابن عاشور : التحرير والتنوير : ١٧٨/١٦ , والشيرازي :
الأمثل في تفسير القرآن:٣٢٩/٩ , والقشيري: لطائف الإشارات : ٢٥١/٢

(٦٤) ينظر: محمد الأمين الشافعي: حدائق الروح والريحان: ٢٣٨/١٧ , ابن عاشور : التحرير

والتنوير :١٣٢/١٦ , وبهجت عبد الواحد : الإعراب المفصل : ٥٨/٧

(٦٥) الشوكاني: فتح القدير : ٥١٩/١.

(٦٦) البيضاوي: أنوار التنزيل: ١: ٣٧.

(٦٧) سورة البقرة : ٢٨

(٦٨) ينظر:سيبويه : الكتاب :٢٣٣/٤ , وابن يعيش : شرح المفصل : ١٠٩/٤ , وابن هشام : مغني اللبيب
: ٢٠٤/١

(٦٩) سورة مريم: ٢٩.

(٧٠) ينظر: الزمخشري : الكشاف :١٤/٣ , وأبو حيان الأندلسي : البحر المحيط : ١٧٧/٦ , وابن عجيبة : البحر المديد: ٢١٩/٤ , والآلوسي : روح المعاني :٤٠٧/٦ , والشوكاني: فتح القدير: ٤١٠/٣/٣ والطباطبائي : الميزان : ١٤/ ٤٥ , وابن عاشور : التحرير والتنوير :٩٧/١٦ , وسيد قطب : في ظلال القرآن :
٣٦/٥

(٧١) الشوكاني: فتح القدير : ٤٧٤/٣

(٧٢) البيضاوي: أنوار التنزيل: ١: ١٣.

(٧٣) م. ن: ١: ١٣.

(٧٤) أبو السعود : إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم :٢٦٣/٥.

(٧٥) أبو البركات الانباري: إسرار العربية: ٣٣٣، وينظر: ابن جني: اللمع في العربية: ٢٢٧.

(٧٦) ينظر: ابو القاسم الزجاجي: حروف النعاني: ٦١.

(٧٧) م.ن: ٦١.

(٧٨) سورة مريم: ٢٠.

(٧٩) ينظر: الطبرسي : مجمع البيان :٤١/١٤ , والبغوي: معالم التنزيل:١٩١/١٦, ومحمد الشربيني: السراج المنير:٤٦٢/٢, وابن عاشور : التحرير والتنوير : ٨٢/١٦ , والجزائري : أيسر التفاسير: ٣٠٠/٣, والشوكاني : فتح القدير : ٤٠٦/٣ , و محمد حسين فضل الله : من وحي القرآن:٣٢/١٥

(٨٠) سورة مريم : ٢١
(٨١) ينظر: محمد الأمين الشافعي: حدائق الروح والريحان : ١٠٤/١٧
(٨٢) سورة مريم: ٨.
(٨٣) ينظر: الرازي: مختار الصحاح: ٤٦٧.
(٨٤) سورة مريم: ٩.
(٨٥) ينظر: أحمد الهاشمي : جواهر البلاغة :٨٣
(٨٦) ينظر: ابن الأنبا ري : أسرار العربية : ٣٨٦
(٨٧) ينظر: ابن جني : اللمع في العربية : ٢٣١
(٨٨) ينظر: ابن الأنبا ري : أسرار العربية :٣٨٤
(٨٩) سورة مريم: ٧٣
(٩٠) ينظر: الزمخشري : الكشاف :٣٤/٤ , والرازي: مفاتيح الغيب : ٢٤٦/٢١/١١ , و الشربيني: السراج
المنير :٤٦٢/٢ , و الشوكاني: فتح القدير : ٤٢٩/٣ , وابن عاشور : التحرير والتنوير : ١٥٣/١٦،
والطباطبائي: الميزان : ٩٨/٤
(٩١) الشنقيطي: أضواء البيان :٤٧٩/١.
(٩١) الطبري: تفسير الطبري: ٨/
(٩٢) م.ن: ٤٨٣/٣.
(٩٣) سورة مريم :٧٤
(٩٤) الشنقيطي: أضواء البيان :٤٨٤/٣.
(٩٥) ينظر: ابن يعيش: شرح المفصل: ٨٤/٨.
(٩٦) ينظر: ابن هشام: شرح قطر الندى: ٢١٠.
(٩٧) سورة مريم: ٢٣
(٩٨) سورة المؤمنون : ٩٩
(٩٩) سورة الكهف: ٤٢.
(١٠٠) سورة الفرقان: ٢٧.

(١٠١) سورة النبأ: ٤٠.

(١٠٢) ينظر: الزمخشري: الكشاف: ٢٣/٣ , وأبو حيان الأندلسي : البحر المحيط : ١٧٢/٦, وأبو السعود : إرشاد العقل السليم :٢٣٦/٤ , والآلوسي :روح المعاني : ٤٠٠/٦ .

(١٠٣) ينظر:المراغي: علوم البلاغة : ٦٠ , عيسى علي العاكوب وعلي سعد الشتوي :ينظر الكافي علوم . بلاغة العربية :٢٨٠ , وعبد الرحمن حسن حنكة الميداني : البلاغة العربية أسسها وفنونها : ٢٥١

(١٠٤) رضي الدين : شرح الرضي على الكافية : ٢٣٠/٤ وينظر: عبد الله الفوزان : دليل السالك : ١٤٣/٢

(١٠٥) سورة البقرة : ٢٨

(١٠٦) ينظر: سيبويه : ينظر الكتاب : ٧٢/١ , وابن جني : اللمع في العربية : ١٣٦/١, وابن السراج

:الأصول في النحو : ٩٨/١ - ١٠٠ , وابن الأنباري: أسرار العربية:١١٥- ١١٨ , وأبو حيان

الأندلسي:ارتشاف الضرب :٢٠٦٥/٥ , وابن عقيل : المساعد على تسهيل الفوائد: ١٤٨/٢, والمرادي:

توضيح المقاصد والمسالك :٨٨٥/٣ , وابن هشام : شرح شذور الذهب : ٥٣٧/١ , ورضي الدين:

شرح الرضي على الكافية: ٢٨٨/٤ , وابن يعيش : شرح المفصل: ١٤٦/٧ - ١٤٨ , وعبد الله

الفوزان :دليل السالك: ١٤٣/٢.

(١٠٧) ينظر: ابن الشجري: أمالي ابن الشجري: ١٤٢/٢, وابن مالك : شرح الكافية الشافية :١٠٨١/٢ ورضي الدين : شرح الرضي على الكافية : ٢٣٣/٣ , و أبو حيان الأندلسي: ارتشاف الضرب :٢٠٦٥/٥

والمرادي : الجنى الداني: ٣٣٧ .

(١٠٨) ينظر: ابن هشام: مغني اللبيب: ٢٥٣/٣.

(١٠٩) سورة النساء : ٤٥

(١١٠) ينظرابن السراج : الأصول في النحو :٩٨/١ - ١٠٠ , وابن الأنباري : أسرار العربية: ١١٥- ١١٨ وأبو حيان الأندلسي: ارتشاف الضرب :٢٠٦٥/٥ , وابن يعيش: شرح المفصل: ١٤٦/٧ - ١٤٨ , ورضي الدين: شرح الرضي على الكافية: ٢٨٨/٤ .

(١١١) ينظر: ابن جني: اللمع في العربية : ١٣٨/١ , والمرادي : توضيح المقاصد والمسالك :٨٩٣/٣ - ٨٩٦ , والسيوطي : شرح القصيدة الكافية في التصريف: ٦٠

(١١٢) ينظر: رضي الدين : شرح الرضي على الكافية: ٢٣٠/٤

(١١٣) سورة مريم: ٣٨

(١١٤) سورة السجدة :١٢

(١١٥) ينظر: و أبو علي الفارسي: الإغفال :٣٥٩/١ , و النحاس : معاني القرآن الكريم : ٣٣١/٤ , والزمخشري الكشاف :١٦/٣/٣ , و الشربيني: السراج المنير: ٤٧١/٢ , , والشوكاني: فتح القدير : ٤١٤/٣ , وابن عاشور : التحرير والتنوير :١٠٨/١٦

(١١٦) ينظر: العكبري: التبيان في إعراب القرآن : ١٣٠/٢ , وهبة الزجيلي : المنير في العقيدة والشريعة

والمنهج : ٤٢٥/٨ , ومحمد عبد السلام : إرشادات الحيران إلى توجيهات القرآن : ٣٦١/٧ , ومحمد

علي طه الدرة: تفسير القرآن الكريم وإعرابه وبيانه : ٥٩٥/٥ .

(١١٧) مديحة خضير كاظم السلامي : التناوب الدلالي بين الخبر والإنشاء في التعبير القرآني :٤٢

(١١٨) م.ن: ٤٢.

(١١٩) ينظر: عيسى علي العاكوب وعلي اسعد الشتوي : الكافي في علوم البلاغة : ٢٩٣ - ٢٩٤ , وابن الناظم :المصباح في المعاني والبيان والبديع : ٩٢-٩٣ , والقزويني : التلخيص في علوم البلاغة :١٧٤ , و

البابرتي: شرح التلخيص : ٣٦٩ , ومحمود العالم : الأصول الوافية الموسومة بأنوار الربيع: ١٩٣ ,

وأبو علي الفارسي: الإغفال : ٣٨٤/١

(١٢٠) سورة البقرة : آية ٨٤

(١٢١) ينظر: عيسى علي العاكوب وعلي اسعد الشتوي : الكافي في علوم البلاغة : ٢٩٣ - ٢٩٤

(١٢١) سورة مريم: ٣٣.

(١٢٣) ينظر: بهجت عبد الواحد : الإعراب المفصل : ٢٧/٧

(١٢٤) ينظر:الشافعي : تفسير حائق الروح : ١٥٦/١٧ , ومحمود سليمان ياقوت :إعراب القرآن
الكريم:٢٨٠٣/٦

(١٢٥) سورة مريم: ٣٠.

(١٢٦) ينظر: الرازي : مفاتح الغيب : ٢١٦/١١ , والجزائري : أيسر التفاسير:٣٠٥/٣ , والزبيدي: التيسير
في التفسير للقرآن: ٣١٢/٤ , و البقاعي :نظم الدرر: ٥٣٢/٤

(١٢٧) ينظر: عبد الرحمن حسن جنكة الميداني : البلاغة العربية :١٧٧/١

(١٢٨) ينظر: أبو البقاء العكبري : الكليات :١٨٥/٥

(١٢٩) ينظر: م .ن ١٨٦/٥

(١٣٠) ينظر: ابن جني : اللمع في العربية: ١٣٢ , والرضي: شرح الرضي على الكافية: ٨٢/٤ , وابن
هشام : مغني اللبيب : ٢٦٢ , والقزويني : التلخيص في علوم البلاغة : ١٧٠

(١٣١) سورة مريم: ٩١.

(١٣٢) سورة مريم : ١٧

(١٣٣) ينظر: والشوكاني : فتح القدير : ٤٠٥/٣ , وابن عاشور : التحرير والتنوير :٨١/١٦ , وابن عجيبة :
البحر المديد : ٢١٥/٤ ,البقاعي :نظم الدرر : ١١٥/٤ , وابن الجوزي :زاد المسير : ١٦/٣ , والطوسي:
التبيان: ١١٥/٧ والشنقيطي : أضواء البيان: ١٨٠/٤

(١٣٤) مديحة خضير كاظم السلامي: التناوب الدلالي بين الخبر والإنشاء في التعبير القرآني: ١٣٨

(١٣٥) ينظر: خديجة الحديثي : أبنية الصرف في كتاب سيبويه : ١٨٥

(١٣٦) سورة مريم: ٣١.

(١٣٧) سورة مري: ٣٠.

(١٣٨) سورة النساء: ١١.

(١٣٩) مديحة خضير كاظم السلامي: التناوب الدلالي بين الخبر والإنشاء في التعبير القرآني: ٧٦.

(١٤٠) سورة العنكبوت: ٨

(١٤١) سورة مريم: ٢٨.

(١٤٢) ينظر: الشيرازي: الأمثل في تفسير القرآن : ٢٨١/٩ , ومحمد المشهدي : كنز الدقائق : ٢١٩/٨ ,

ومحمد الحسيني الشيرازي: تقريب القرآن إلى الأذهان : ٤٣٩/١٣

(١٤٣) سورة مريم: ٦٥.

(١٤٤) سورة الزخرف : ٨٧

(١٤٥) ينظر: الزجاج : معاني القرآن وإعرابه: ٣/ ١٦٥ , والسمرقندي: بحر العلوم : ٣٢٩/٢ والبيضاوي: أنوار التنزيل :٦٥/٢, وأبو السعود: إرشاد العقل السليم الى مزايا القرآن الكرينم:٢٥٠/٤ , والآلوسي روح المعاني: ٤٣٢/٦ , وابن عاشور: التحرير والتنوير: ١٤٢/١٦

(١٤٦) مديحة خضير كاظم السلامي : التناوب الدلالي بين الخبر والإنشاء في التعبير القرآني: ١٧٩.

(١٤٧) سورة مريم: ٧٥.

(١٤٨) ينظر: ابن مالك : شرح التسهيل : ٢٨٥/١ والمرادي: الجنى الداني: ١٠٩-١١١ , ومحمد رفيق

الونشريسي :الثمرات الجلية في شرح نظم الآجرومية : ٤٦

(١٤٩) ابن الأنبا ري : أسرار العربية: ١٧٢

(١٥٠) ينظر: السهيلي : نتائج الفكر في النحو: ١١٠ , وابن يعيش:شرح المفصل :٤١/٧ , وأبو علي
الشلوبين: التوطئة :١٤٨ , والأشبيلي : البسيط في شرح جمل الزجاجي : ٢٤٢ , وأبو حيان أندلسي:
ارتشاف الضرب: ١٨٥/٥

(١٥١) ينظر: الشيرازي : الأمثل: ٣١٧/٩ , والفيض الكاشاني: الصافي: ٥٧٣/٤ , ومحمد الأمين الشافعي:
حدائق الروح والريحان :١٧/ ٢١٣

(١٥٢) الزمخشري: الكشاف: ٣٩/٣.

(١٥٣) الزمخشري: الكشاف: ٣٩/٣.

(١٥٤) الرازي: مفاتيح الغيب: ٧١/١٦.

(١٥٥) ينظر: أبو على الفارسي : الإغفال : ٣٦٠/٢ , و المسائل العسكريات في النحو العربي: ٩٧ , و السمرقندي: بحر العلوم : ٣٣٢/٢ , وابن عطية: المحرر الوجيز : ٢٩/٤ , وابن الشجري: أمالي ابن الشجري: ٤١٢/١ , وابن هشام : مغني اللبيب :٢٤١/٢ , وابن عجيبة البحر المديد : ٢٤٦/٤ ٣٦/٢ ., وابن عاشور :التحرير والتنوير :١٥٥/١٦ , والشيرازي: الأمثل: ٩/ ٣١٧ , ومحمد الأمين الشافعي: حدائق الروح والريحان : ٢١٣/١٧ , و مغنية : الكاشف : ٥/ ١٩٦

(١٥٦) الطوسي : التبيان : ١٤٤/٧.

(١٥٧) ينظر: النيسابوري : تفسير غرائب القرآن : ٥٠٥/٤

(١٥٨) ينظر: القرطبي : الجامع لأحكام القرآن : ١٤٤/١١

(١٥٩) مديحة خضير كاظم السلامي : التناوب الدلالي بين الخبر والإنشاء في التعبير القرآني: ١٨١

قائمة المصادر والمراجع

❖ القرآن الكريم.

❖ أحمد الهاشمي : جواهر البلاغة في المعاتي والبيان والبديع , ضبط وتحقيق وتوثيق د.يوسف
الصميلي , الطبعة الأولى , ١٩٩٩م , الناشر المكتبة العصرية ـ مصر

❖ الأزهري: أبو منصور محمد بن أحمد (ت٣٧٠هـ) : تهذيب اللغة، إشراف: محمد عوض مرعب وعلق عليه عمر سلامي وعبد الكريم حامد، وتقويم الأستاذة: فاطمة محمد أصلان,
دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع, بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى, ٢٠٠١ م.

❖ الآلوسي: أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود البغدادي (ت١٢٧٠هـ): روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ضبطه وصححه: علي عبد الباري عطية ، منشورات محمد علي بيضون دار الكتب العلمية ـ بيروت لبنان ـ الطبعة الثانية، ٢٠٠٥م

❖ ابوحيان الاندلسي: اثير الدين أبو عبد الله محمد بن يوسف (ت٧٤٥ هـ) :

- ارتشاف الضرب من لسان العرب , تحقيق وشرح ودراسة د. رجب عثمان ومراجعة د. رمضان عبد التواب , مطبعة المدني مصر، الطبعة الأولى , ١٩٩٨

-البحر المحيط ، دراسة وتحقيق وتعليق الشيخ أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوّض .
شارك في تحقيقه د. زكريا عبد الحميد الشنوني و د. أحمد، بيروت لبنان ، الطبعة الثانية ٢٠٠٧ م

❖ البابرتي : أكمل الدين محمد بن محمد بن محمود بن أحمد (ت٧٨٦هـ): شرح التلخيص، دراسة وتحقيق د. محمد مصطفى رمضان صوفيه, المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان ,طرابلس- ليبيا , الطبعة الأولى , ١٩٨٣م

❖ أبو البركات الأنبا ري : عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله (ت٥٧٧هـ):

- أسرار العربية، دراسة وتحقيق: محمود شمس الدين، منشورات محمد علي بيضون . دار الكتب العلمية ، بيروت ـ لبنان الطبعة الأولى، ١٩٩٧م

ـ الإنصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين , تحقيق ودراسة د. جودة مبروك محمد مبروك و راجعه د. رمضان عبد التواب , الطبعة الأولى , الناشر مكتبة الخانجي القاهرة , د.ت

❖ البغوي: أبو محمد الحسين بن مسعود الشافعي (ت٥١٦هـ): معالم التنزيل، إعداد وتحقيق خالد عبد الرحمن العك ومردان سوار , دار المعرفة , بيروت لبنان الطبعة الأولى ،١٩٨٦م

❖ أبو البقاء العكبري: عبد الله بن الحسين (ت٦١٦هـ): التبيان في إعراب القرآن، وضع حواشيه محمد حسين آل شمس الدين , دار الكتب العلمية, بيروت لبنان , الطبعة الثانية ٢٠١٠ م

❖ البقاعي : برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر بن حسن البقاعي (ت٨٨٩هـ) : نظم الدرر في تناسب الآيات والسور , خرج آياته وأحاديثه ووضع حواشيه عبد الرزاق غالب

❖ البيضاوي : القاضي أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي (ت٧٩١هـ): تفسير البيضاوي المسمى بـ (أنوار التنزيل وأسرار التأويل) ، منشورات محمد علي بيضون , دار الكتب العلمية , بيروت ـ لبنان , الطبعة الأولى ٢٠٠٣ م.

❖ الثعلبي: أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم (ت٤٢٧هـ): الكشف والبيان في تفسير القرآن المعروف بتفسير الثعلبي , تحقيق سيد كسروي حسن , منشورات دار الكتب العلمية ,

بيروت ـ لبنان , الطبعة الأولى , ٢٠٠٤م

❖ الجرجاني: الشريف علي بن محمد الحسيني (٨١٦ هـ): التعريفات, تحقيق إبراهيم الأنباري

دار الكتاب العربي , بيروت, الطبعة الأولى , ١٤٠٥هـ.

❖ابن جني: ابو الفتح عثمان (ت ٣٩٢ هـ):

- اللمع في العربية : تحقيق: فائز فارس , دار الكتب الثقافية - الكويت , ١٩٧٢

❖ ابن الجوزي : أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد(ت٥٩٧ هـ): زاد المسير في علم التفسير، خرج آياته وأحاديثه ووضع حواشيه أحمد شمس الدين منشورات محمد علي بيضون دار الكتب العلمية بيروت لبنان الطبعة الثانية ٢٠٠٢ م.

❖ خديجة الحديثي: أبنية الصرف في كتاب سيبويه معجم ودراسة , لبنان ـ بيروت، الطبعة

الأولى ٢٠٠٣ م
❖ ابن دريد: أبو بكر محمد بن الحسين الأزدي (ت٣٢١هـ) : جمهرة اللغة ، علق عليه ووضع حواشيه وفهارسه إبراهيم شمس الدين ، دار الكتب العلمية , بيروت ـ لبنان, الطبعة الأولى , ٢٠٠٥ م
❖ الرازي: فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين (ت ٦٠٦ هـ) :
- المحصول في علم أصول الفقه , علق عليه ووضع حواشيه محمد عبد القادر عطار , منشورات دار الكتب العلمية , بيروت ـ لبنان , الطبعة الأولى ١٩٩٩
- مفاتيح الغيب المشهور بالتفسير الكبير, بيروت ـ لبنان , دار الفكر للطباعة و النشر، الطبعة الثانية , ١٩٨٥ م.
❖ الرازي: محمد بن أبي بكر بن عبد القادر : مختار الصحاح ، منشورات دار مكتبة الهلال , بيروت ـ لبنان , ١٩٨٨م

❖ رجاء عيد: فلسفة البلاغة بين التقنية والتطور ، الناشر منشأة المعارف بالإسكندرية، الطبعة
الثانية , د. ت.
❖ الرضي: محمد بن الحسن النحوي الاستراباذي (ت ٦٨٦ هـ): شرح الرضي على الكافية, تصحيح وتعليق حسن عمر مؤسسة الصادق ـ طهران , الطبعة الأولى , ١٩٧٨م.
❖ الزجاج: أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن السري البغدادي (ت٣١١هـ): معاني القرآن وإعرابه المسمى المختصر في إعراب القرآن ومعانيه , علق عليه ووضع حواشيه أحمد فتحي عبد الرحمن وقدم له الأستاذ الدكتور فتحي عبد الرحمن حجازي، دار الكتب العلمية
بيروت ـ لبنان منشورات محمد علي بيضون، الطبعة الأولى , ٢٠٠٧ م
❖ الزمخشري ,أبو القاسم جار الله محمد بن عمر بن محمد (ت٥٣٨) :
- الكشاف عن حقائق التأويل وغوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل رتبه وضبطه
محمد بن عبد السلام شاهين ـ منشورات دار الكتب العلمية بيروت ـ لبنان الطبعة

الثالثة ٢٠٠٣ م
❖ ابن السراج : أبو بكر محمد بن سهل النحوي البغدادي ت(٣١٦هـ) : الأصول في النحو , تحقيق د. عبد الحسين الفتلي , الناشر مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ لبنان , الطبعة الثالثة ١٩٨٨ م.
❖ أبو السعود: محمد بن محمد بن مصطفى العمادي الحنفي (ت ٩٨٢هـ): إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم , وضع حواشيه: عبد اللطيف عبد الرحمن ، منشورات محمد
علي بيضون , دار الكتب العلمية ـ بيروت لبنان ـ الطبعة الثانية، ٢٠٠٥ م.
❖ السكاكي: أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد بن علي (ت٦٢٦هـ): مفتاح العلوم، ضبطه
وشرحه الأستاذ نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت –لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٨٣ م.
❖ السمرقندي : أبو الليث نصر بن محمد بن إبراهيم (ت٣٧٥هـ): بحر العلوم , تحقيق وتعليق الشيخ علي محمد معوض وآخرون ،دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان, الطبعة الأولى , ٢٠٠٦م.
❖ السهيلي : أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله (ت٥٨١هـ): نتائج الفكر في النحو، حققه
وعلق عليه الشيخ عادل أحمد عبد الوجود وشيخ علي محمد معوّض , دار الكتب العلمية ,
بيروت ـ لبنان الطبعة الأولى , ١٩٩٢م
❖ سيد قطب : في ظلال القرآن , دار إحياء التراث العربية, الطبعة الأولى ، د.ت
❖ سيروان عبد الزهرة الجنابي:
- الإجمال والتفصيل في التعبير القرآني دراسة في الدلالة القرآنية، بغداد ـ مطبعة النماء, الطبعة الأولى , ٢٠١٠ م
❖ السيوطي : جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت٩١١هـ) :
- شرح القصيدة الكافية في التصريف , حققه وقدم عليه د. ناصر حسين علي , المطبعة

التعاونية بدمشق , ١٩٨٩ م.
❖ ابن الشجري: هبة الله علي بن محمد بن حمزة الحسني العلوي (ت٥٤٢هـ): آمالي ابن الشجري ، تحقيق ودراسة د. محمود محمد الطناحي , الناشر مكتبة الخانجي القاهرة، د.ت.
❖ الشوكاني: محمد بن علي بن محمد (ت١٢٥٠هـ) : - فتح القدير بين فني الرواية والدراية في علم التفسير , ضبطه وصححه إبراهيم عبد السلام , دار الكتب العلمية , بيروت - لبنان , د.ت .
❖ الشيرازي: ناصر مكارم: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل,دار الأميرة للطباعة والنشر والتوزيع بيروت ـ لبنان ، الطبعة الأولى , ٢٠٠٥م
❖ صالح الظالمي : تطور دراسة الجملة العربية بين النحويين والأصوليين، مكتب المواهب للطباعة والنشر النجف الأشرف، الطبعة الثانية، ١٤٢٦هـ
❖ الطباطبائي: محمد حسين: الميزان في تفسير القرآن ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت - لبنان , الطبعة الأولى, ١٩٩٧م
❖الطبرسي: أمين الدين ابو علي الفضل بن الحسن (ت ٥٤٨هـ):
- مجمع البيان في تفسير القرآن ، وقف على تصحيحه وتحقيقه والتعليق عليه الفاضل الحاج السيد باشم الرسولي المحلاتي , دار إحياء التراث العربي , بيروت - لبنان ١٣٧٩هـ
❖ الطبري: ابو جعفر محمد بن جرير (ت٣١٠هـ): جامع البيان في تأويل آي القرآن المشهور باسم (تفسير الطبري)، الطبعة الرابعة دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت - لبنان ١٩٨٠
❖ الطوسي: أبو جعفر محمد بن الحسن بن علي (ت ٤٦٠ هـ): التبيان في تفسير القرآن، تحقيق : أحمد حبيب قصير العاملي، مطبعة النعمان- النجف الأشرف ، ١٩٦٠م.
❖ ابن عاشور : محمد الطاهر : التحرير والتنوير المعروف بـ (تفسير ابن عاشور التونسي)، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان , ليبيا , الطبعة الثانية , د.ت
❖ ابن عباس: تنوير المقباس من تفسير ابن عباس ، دار الكتب العلمية بيروت ـ لبنان , منشورات محمد علي بيضون , الطبعة الثانية , ٢٠٠٤ م
❖ عبد الله الفوزان : دليل السالك إلى ألفية ابن مالك، الناشر دار المسلم, الطبعة الأولى , ١٩٩٩

❖ عبد الرحمن حسن جنكة الميداني: البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها ، دار القلم دمشق
والدار الشامية , الطبعة الأولى , ١٩٩٦م
❖ ابن عجيبة: أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي الحسني (ت١٢٢٤هـ): البحر المديد في تفسير القرآن المجيد , تحقيق عمر أحمد الراوي راجعه وحققه وقارنه على الأصل المحفوظ عبد السلام العمراني الخالدي العرائشي، بيروت ـ لبنان, الطبعة الثانية , ٢٠٠٥ م
❖ العجيلي: سليمان بن عمر الشافعي (ت١٢٠٤هـ) : الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية , ضبطه وصححه وخرج آياته إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان , منشورات محمد علي بيضون, الطبعة الثانية , ٢٠٠٦ م
❖ ابن عطية: أبو محمد عبد الحق بن غالب الأندلسي (ت٥٤٦هـ): المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق عبد السلام عبد محمد , منشورات محمد علي بيضون , دار الكتب العلمية , بيروت ـ لبنان , الطبعة الأولى , ٢٠٠١ م
❖ أبو علي الفارسي (ت٣٧٧هـ) :
- الإغفال , تحقيق وتعليق: عبد الله بن عمر الحاج إبراهيم, المجمع الثقافي أبو ظبي الإمارات العربية المتحدة , د. ت
❖ عيسى علي العاكوب و علي سعد الشتيوي: الكافي في علوم البلاغة العربية المعاني والبيان والبديع , الجامعة المفتوحة , ١٩٩٣م.
❖الفراهيدي , أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد (ت١٧٥هـ): العين، تحقيق د. مهدي المخزومي و د. إبراهيم السامرائي، وزارة الثقافة والإعلام . دار الرشيد للنشر سلسلة المعاجم والفهارس،١٩٨٣م.
❖ الفيض الكاشاني: المولى محمد بن مرتضى (ت١٠٩١هـ): الصافي في تفسير كلام الله, تحقيق السيد محسن الأميني , الطبعة الأولى , ١٤١٩ هـ. .
❖ القرطبي: محمد بن احمد بن ابي بكر (ت ٦٧١ هـ): الجامع لأحكام القرآن المعروف بـ (تفسير ال
قرطبي)، تحقيق: أبو إسحاق إبراهيم اطفيش , , الناشر دار الكاتب العربي للطباعة والنشر ،١٩٦٧م.

❖ القزويني: الخطيب جلال الدين أبو عبد الله محمد بن سعد الدين (٧٣٩ هـ):
- الإيضاح في علوم البلاغة , دار إحياء العلوم , بيروت , الطبعة الرابعة , ١٩٨٨م
- التلخيص في علوم البلاغة ، طبعه وأشرف عليه الأديب الكبير الأستاذ عبد الرحمن البرقوقي
, دار الفكر العربي الطبعة الثانية , ١٩٣٢ م
❖ القشيري : أبو القاسم عبد الكريم بن هوزان بن عبد الملك القشيري النيسابوري الشافعي ت
(٤٦٥هـ): لطائف الإشارات , وضع حواشيه وعلق عليه عبد اللطيف حسن عبد الرحمن , مؤسسة محمد علي بيضون , بيروت ـ لبنان , دار الكتب العلمية , الطبعة الثانية , ٢٠٠٧ م.
❖ الأب لويس شيخو اليسوعي: نزهة الطرف في مختصر الصرف, المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين بيروت ـ لبنان، الطبعة الثالثة, ١٨٩٨
❖ المالكي: عبد الرحمن بن محمد بن محمد النحوي (ت٩٢٠هـ) ـ: شرح كتاب الحدود للأبدي، تحقيق د. المتولي بن رمضان أحمد الدميري، دار الشروق للطباعة والنشر, ١٩٩٣م
❖ محمد الأمين الشافعي: محمد بن عبد الله الأرميّ العلوي الهردي الشافعي: حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن , إشراف ومراجعة د. هاشم محمد علي بن حسين مهدي, دار طوق النجاة , بيروت ـ لبنان , د. ت
❖ محمد حسين فضل الله: من وحي القرآن , دار الملاك للطباعة والنشر والتوزيع , بيروت ـ لبنان الطبعة الثالثة ٢٠٠٧ م
❖ محمد رفيق الونشريسي: الثمرات الحلية في شرح نظم الأجرومية , تقديم فضيلة الشيخ عبد
الرحمن بن عوف كوني , دار الإمام مالك , أبو ظبي , الطبعة الأولى ٢٠٠٥م.
❖ محمود العالم: الأصول الوافية الموسومة بأنوار الربيع في الصرف والنحو والمعاني والبيان والبديع، مطبعة التقدم العلمية , الطبعة الأولى , ١٣٢٣هـ
❖ المرادي: بدر الدين أبو محمد الحسن بن قاسم (ت٧٤٩هـ) :
- توضيح المقاصد والمسالك إلى ألفية ابن مالك, شرح وتحقيق الأستاذ الدكتور عبد الرحمن

علي سليمان، دار الفكر العربي القاهرة, الطبعة الأولى , ٢٠٠١م
- الجنى الداني في حروف المعاني ، تحقيق د. فخر الدين قباوة والأستاذ محمد نديم فاضل , دار الكتب العلمية , بيروت ـ لبنان , الطبعة الأولى , ١٩٩٢ م.
❖ المراغي: أحمد مصطفى : علوم البلاغة والبيان والبديع ، دار العلم بيروت – لبنان، الطبعة
الثانية ١٩٨٤ م
❖ مغنية: محمد جواد (ت١٤٠٠هـ): الكاشف، مطبعة دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة الثالثة ١٩٨١م. .
❖ مهدي المخزومي: في النحو العربي نقد و توجيه ، مطبعة دار الرائد العربي ، بيروت – لبنان،الطبعة الثانية ،١٤٠٦ هـ – ١٩٨٦ م .
❖ ابن منظور: أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (ت ٧١١ هـ): لسان العرب، بيروت لبنان للطباعة والنشر ١٩٥٦م.
❖ ابن الناظم: بدر الدين بن مالك الشهير بابن الناظم ـ المصباح في المعاني والبيان والبديع حققه وشرحه ووضع فهارسه د. حسني عبد الجليل يوسف , الطبعة الأولى , ١٩٨٩ م
❖ النحاس: أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل : معاني القرآن الكريم، تحقيق الشيخ محمد علي الصابوني , أم القرى المملكة العربية السعودية , معهد البحوث العلمية و إحياء التراث الإسلامي مكة المكرمة، الطبعة الأولى ١٩٨٩ م.
❖ ابن هشام: أبو محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف بن أحمد بن عبد الله الأنصاري (ت
٧٦١ هـ):
- شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب , تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد , مصر – الطبعة السادسة, ١٩٥٣ م
- شرح قطر الندى وبل الصدى , تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، قم المقدسة منشورات فيروز آبادي, الطبعة الثامنة . ١٤٢٥هـ
- مغني اللبيب عن كتب الاعاريب ، تحقيق : د. مازك المبارك ، ومحمد علي حمد الله ، مطبعة دار الفكر ، بيروت – لبنان ، الطبعة السادسة ،١٩٨٥ م.

❖ أبو هلال العسكري: الفروق في اللغة، منشورات دار الآفاق الجديدة , بيروت ـ لبنان, الطبعة الثالثة , ١٩٧٩ م
❖ وهبة الزجيلي: المنير في العقيدة والشريعة والمنهج ـ دار الفكر , دمشق ، الطبعة الثانية، ٢٠٠٣م
❖ ابن يعيش : موفق الدين يعيش بن علي بن يعيش (ت ٦٤٣ هـ) : شرح المفصل، مطبعة عالم الكتب ، بيروت – لبنان ،د.ت .
الرسائل والأطروحات:
❖ مديحة خضير السلامي: التناوب الدلالي بين الخبر والإنشاء في التعبير القرآني ، إشراف ا.م.د. محمد عبد الزهرة غافل الشريفي ، كلية الآداب - جامعة الكوفة, ٢٠٠٧ م.
المجلات العلمية:
❖ محمد عامر: دلالات الفعل أخذ في القرآن الكريم، بحث منشور في مجلة (ن والقلم وما يسطرون): العدد ١٢: السنة الرابعة: جمادى الآخرة ١٤٢٨هـ حزيران ٢٠٠٨ م